

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
ⵓⵎⵓⵍⵓⵔ ⵎⵓⵎⵎⵉⵔⵉ ⵉⵏ ⵜⵉⵣⵓⵣⵓ
X. ⵓⵎ. ⵓⵎⵓⵎⵉⵔⵉ ⵉⵏ ⵎⵓⵎⵎⵉⵔⵉ ⵉⵏ ⵎⵓⵎⵎⵉⵔⵉ
X. ⵎⵓⵎⵉⵔⵉ ⵉⵏ ⵎⵓⵎⵉⵔⵉ ⵉⵏ ⵎⵓⵎⵉⵔⵉ

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
DEPARTEMENT DE LANGUE ET LITTÉRATURE ARABES



جامعة مولود معمري، تيزي- وزو

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

الرقم:/...../2019

رقم الترتيب:

الرقم التسلسلي:

مذكرة لنيل شهادة الماستر

الميدان: اللغة والأدب العربي.

الفرع: دراسات أدبية

التخصص: أدب جزائري

عنوان المذكرة

تمثلات الثورة الجزائرية في رواية
الانطباع الأخير لمالك حـداد

إشراف الأستاذ (ة)

– نبيلة زويش

إعداد الطالب (ة) / الطالبين

– يـحـ لـينـدة

أعضاء لجنة المناقشة

أ. نورة بعيو، أ.ت العالي، جامعة مولود معمري تيزي وزو رئيسة

أ. نبيلة زويش، أ.م (أ) جامعة مولود معمري تيزي وزو مشرفة مقرر

أ. بوعلام إقلولي، أ.م. صنف (أ) جامعة مولود معمري تيزي وزو ممتحنا

السنة الجامعية: 2018 – 2019

شكر و عرفان

قال الله تعالى " وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين "

(النمل: 19)

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " من لم يشكر الناس لم يشكر الله "

أتقدم بجزيل الشكر إلى الدكتورة الفاضلة " نبيلة زويش " التي لم تبخل عليّ بالمعلومات والنصائح لإتمام هذا البحث،

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كافة أساتذة قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة مولود معمري تيزي وزو

و إلى كافة عمال المكتبة

و إلى الذين أبوا إلا أن يقفوا إلى جانبي دون أي سؤال وحفروا أسماءهم في قلبي مع مزيد من الحب و الوفاء.

اهداء

قال الله تعالى: "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا "

(الإسراء : 24)

إلى التي أوصاني بها المولى خيرا وبراً, إلى التي حملتني وهنا على وهن, إلى التي سهرت الليالي لأنام ملء أجفاني, إلى منبع الحب والحنان ورمز الصفاء والوفاء إلى أُمي الغالية حفظها الله وأطال في عمرها

إلى من رعاني وانتعشت به أيامي في الشدة والرخاء, إلى من غرس في كياني حب العمل, أبي الغالي حفظه الله وأطال في عمره.

وإلى الأخت العزيزة الأستاذة الفاضلة التي ساندتني كثيرا في انجاز هذا البحث، الدكتورة "مكسح دليلة" لك مني أزكى وأسمى التحايا.

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء، لكم مني كل عبارات الوفاء و التقدير و التحية و الإخلاص، تحية من القلب و إلى القلب

تحية إلى كل من سقط قلبي سهوا عن ذكرهم.

يحه ليندة

مقدمة

تزخر مكتبة الأدب الجزائري بالعديد من الدراسات الهادفة إلى الإحاطة بشتى أبعاد النص الأدبي الروائي، سواء أكان مكتوبا باللغة العربية أم مكتوبا باللغة الفرنسية، و الكشف عن آلياته الفاعلة، قصد الوصول إلى فهم أعماق طبيعة العمل الأدبي و خصائصه التي تميزه عن غيره، علما أن الأدب الجزائري كانت بداياته في ظل السيطرة الاستعمارية التي فرضت اللغة الفرنسية في المدارس، فكانت نتيجة ظهور جيل من الكتاب الذين استخدموها في إبداعاتهم، فانجر عن ذلك ظهور الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، و من ثمة طرحت إشكالية هويتها و انتمائها بسبب لغة كتابتها، غير أنها حافظت في أعماقها على أصالة و روح المجتمع الجزائري، فسجلت بذلك حضورا مميزا نظرا لأهمية الموضوعات التي عالجتها، حيث تجاوزت اللغة الفرنسية التي كتبت بها، فلم تشكل عائقا أمام هؤلاء الكتاب الذين وجدوا أنفسهم في ظروف تاريخية أرغمتهم على التعبير بلغة الآخر - لغة المستعمر - و أبدعوا في كتابتهم و عن انتمائهم الجزائري و هويتهم الضائعة و البحث عن كل ما يربطهم بالوطن، و اتخذوا من الثورة التحريرية ومحاربة الاستعمار بلسانه موضوعا رئيسيا تواتر في اغلب الروايات، فتحوّلت تلك الأعمال إلى مرجعيات تاريخية لفتت انتباه القراء في جميع أنحاء العالم.

و على هذا الأساس وقع اختياري على رواية " الانطباع الأخير " لـ " مالك حداد "، لأنها تحتل مكانة مرموقة ضمن الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، باعتبارها من بين أهم الروايات التي عالجت مختلف القضايا المتعلقة بالثورة التحريرية، و رصدت معاناة الشعب الجزائري الذي عانى الولايات من المستعمر الفرنسي، و حاول كاتبها من خلال كل الأحداث التي سردها أن يقدم للقارئ صورة عن حب أبناء الجزائر لوطنهم و اختيار الثورة كسبيل للتحرر و استرجاع هويتهم، و هو الأمر الذي حاول الكاتب تمثيله من خلال شخصية بطل الرواية سعيد.

وعليه اتفقت مع الأستاذة المشرفة على أن يكون عنوان بحثنا " تمثيلات الثورة الجزائرية في الرواية الجزائرية الانطباع الأخير لمالك حداد "

لقد تجسدت إشكالية بحثي عبر مسار حكاية قصة سعيد و اختياره للانتماء الوطني على الرغم من كرهه للحرب و قد جسدت من خلال طرحي للسؤال الآتي:

- كيف تم تمثيل الثورة التحريرية الجزائرية في رواية الانطباع الأخير ؟ و من ذلك كيف اشتغل المؤلف على مستوى هذا المسار السردى ليعرض لتيمة الثورة التحريرية في الجزائر من خلال طرح أزمة الهوية التي عرفها المثقف الجزائري و اختياره لسبيل الثورة للتحرر من قيود المستعمر .

و للإجابة عن هذه الإشكالية اتبعت الخطوات الآتية :

قسمت البحث إلى فصلين جعلت الفصل الأول بعنوان " الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية "، لان رواية الانطباع الأخير من الروايات التي كتبت باللغة الفرنسية و صاحبها عاش أزمة الكتابة بلغة المستعمر لغة غيره أوآخر على حد تعبير بعض الدارسين.

أما في الفصل الثاني فكان بعنوان " تجليات الهوية في رواية الانطباع الأخير لمالك حداد " فقد استهللته بتمهيد حول الهوية ثم شخصية البطل "سعيد" و الانتماء الجزائري و قضية أزمة الهوية التي سعى المستعمر لطمسها من خلال إستراتيجية التعليم و القضاء على اللغة العربية و غير ذلك من السبل التي طرحها الكاتب من خلال بطل روايته سعيد المثقف الجزائري .

و أجملت في الخاتمة أهم النتائج التي توصلنا إليها.

و لتحليل عناصر الفصلين اعتمدت المنهج الموضوعاتي لأننا ركزنا على متن الرواية و محتواها كما استعنا بالمنهج التاريخي في الفصل الأول الذي جمعنا فيه مادة أرخت للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية من جهة و مالك حداد من جهة أخرى .

و اعتمدت في تأسيس هذا البحث على مجموعة من المصادر و المراجع أهمها:

رواية الانطباع الأخير لـ "مالك حداد" باعتبارها المصدر الرئيسي في هذه الدراسة، كذلك استعنت كثيرا بكتاب الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته وتطوره، لـ "أحمد منور"، و صورة الفرنسي في الرواية المغربية لـ "عبد المجيد حنون" و غيرها.

وكغيري من الباحثين المبتدئين واجهتني بعض الصعوبات و العراقيل من أهمها:

- نقص خبرتي في إنجاز البحوث الأكاديمية.

- صعوبة التحكم في المادة المعرفية نظرا لكثرتها و تنوعها وتشابهاها.

و على الرغم من هذه الصعوبات إلا أنني و بعون الله و توجيهات الأستاذة المشرفة وبعزيمتي و إصراري استطعت تجاوزها.

و في الأخير لا يسعني إلا أن أسأل الله التوفيق و السداد و أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة "نبيلة زويش" التي لم تبخل عليّ بوقتها من أجل تشجيعي و تحفيزي لإنجاز بحثي هذا.

1- نبذة تاريخية عن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية:

عانى الجزائريون من ويلات الاستعمار الفرنسي و ذاقوا ويلات الحرب التي راح ضحيتها مليون و نصف مليون جزائري، فشرّد الأطفال و رملت النساء، و قتل الشيوخ و الرجال، فارتوت الأرض من دماء أبنائها و استغلت الخيرات و توسعت سيطرة فرنسا « بالاستلاء على الأرض وتعميرها بالعنصر البشري الأوربي على حساب أهلها الأصليين في محاولة لتحويل طابعها البشري من الطابع الإسلامي إلى الطابع الأوربي المسيحي »⁽¹⁾ ذلك ضمن استراتيجيتها الاستعمارية لطمس هوية شعبها و رغبة في تدمير معالم شخصيتها الوطنية و محو معالم ثقافتها الأصلية، حيث استعملت كل وسائل الدمار و الخراب و الظلم من أجل تحقيق غايتها .

لقد انتهج المستعمر الفرنسي سياسة « قهر الأهالي و تجويعهم و تشريدتهم بقوة السلاح »⁽²⁾ كخطوة أولى ليسهل عليه الأمر في فرض سلطته و هيمنته عليهم، ثم عمل على الحد من انتشار الثقافة العربية الإسلامية الجزائرية و محاربة المدارس القرآنية و الزوايا « المنتشرة في جميع أنحاء البلاد، يتلقى النشئ فيها ثقافته العربية الإسلامية، فلا يجهل الاستعمار أن العلم سيف قاطع، اذا تسلح به الجزائري أمكنه أن يقاومه، فسعى حينئذ الى تجهيل الأمة الجزائرية »⁽³⁾ كما عملت فرنسا أيضا على تجفيف منابع اللغة العربية و قامت بتشديد الحصار على تعليمها و تعلمها، من خلال غلق المدارس و الزوايا و المساجد التي كان لها دور هام وفعال في تعليم الجزائريين لغتهم العربية الأم، و دينهم الإسلامي السمح، و في المقابل سعت فرنسا جاهدة إلى تشييد و إنشاء المدارس الفرنسية و شجعت الحملات التبشيرية، لفرض لغتها الفرنسية و ثقافتها لتكون جيلا يتطلع الى القيم الفرنسية المثالية، و يتبنى الأفكار التي تشيد بفرنسة الجزائر، و كان الفرنسيون على قناعة بأن المدرسة بمثابة

1- احمد منور: ازمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، دراسة ادبية، دار الساحل للكتاب الجزائري 2001 ص32

2- عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ص22

3- محمد طمار: تاريخ الأدب الجزائري، الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، دط، 2007 ص263

نقطة ضعف و تمثل « المنفذ الذي عن طريقه يتسللون إلى عقول الجزائريين و قلوبهم و يجعلونهم يقبلون بفكرة الاستعمار و التعايش مع المستعمرين » ⁽¹⁾ و كانت غايتهم الأولى فرنسة العقول الجزائرية، فالتعليم الذي كان يقدم للجزائريين في مدارسهم « كان تعليمًا فرنسيًا بحتًا » ⁽²⁾ لا يمت بأي صلة للمجتمع الجزائري، بل كان يخدم مخططاتهم المتمثلة في جعل الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، لغة و وطنًا و لتسهيل إدماجهم أيضًا، « و لم يكن يخفى أن أبواب المدارس الفرنسية لم تكن مفتوحة لكل الجزائريين، و تعطى الأولوية للأوربيين، و كان على الجزائريين أن يكافحوا في سبيل دخول المدرسة الفرنسية التي باتت ارتيادها ضرورة » ⁽³⁾ لأنها صارت السبيل الوحيد للتعلم و تفادي الأمية و الجهل. فلم يكن الهدف من « تعليم الجزائريين الاستجابة لصوت الأمة المتعطشة للعلوم و العرفان و إنما تقريبهم من فرنسا بواسطة اللغة الفرنسية حتى يسهل ابتلاعهم و إدماجهم » ⁽⁴⁾ بذلك استطاعت فرنسا أن تنشئ جيلًا متشبعًا بالثقافة الفرنسية و لا يتكلم إلا باللسان الفرنسي.

قام الفرنسيون « بفرض لغتهم و ثقافتهم حتى يقتلوا اللغة العربية لما فيها من خطر على بقائهم في الجزائر » ⁽⁵⁾ متيقنين و مدركين أنه لا بد من القضاء على اللغة العربية في الجزائر أي القضاء على الهوية و الكيان الجزائري، فبالقضاء عليه تسهل عليهم السيطرة و الهيمنة على جميع المستويات اللغوية منهم و السياسية و الاجتماعية و العسكرية و الثقافية.

لقد انتهجت فرنسا سياسة التجهيل و الأمية في الجزائر، و قد اعترفت بذلك، فنجد "ارنولد فان جينات" يقول « إننا قد حضرنا الجزائر جزئيًا من الوجهة المادية و لكننا لم

1- أحمد منور: أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، ص 57

2- محمد طمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص 370

3- عابدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، 1925-1967، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص 17

4- محمد طمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص 371

5- المرجع نفسه، ص 387

نفعل شيئاً تقريباً بخصوص الناحية العقلية التي هي أكثر أهمية»⁽¹⁾ و يضيف آخر قائلاً: «أردنا أن نجعل من إخواننا المسلمين شعباً من الأميين و قد كاد الأمر يهون لو أننا لم نحتم عليهم استعمال لغتنا (...) و لكن متطلبات النظم الاستعمارية أن يحاول سد طريق التاريخ على المستعمرين (...) و لما كانت المطالب القومية في أوربا تعتمد دائماً على وحدة اللغة، فقد حرم على المستعمرين استعمال لغتهم بالذات»⁽²⁾ فالمستعمر الفرنسي ظل متمسكاً بمسألة اللغة و جعل منها نقطة أساسية في تطبيق جميع مخططاته الاستعمارية، لأنه كان يدرك جيداً مدى أهمية و مكانة اللغة العربية في نفوس الجزائريين.

و استطاعت فرنسا أن تضيع أمل الجزائريين في تكوين ثقافتهم العربية الجزائرية و رمت بهم في غياهب الظلمات و الإذلال و الجهل و ألقت بهم في هوة القهر و البؤس و الفقر المدقع، و سعت لمسح معالم شخصية الشعب الجزائري بمحاولة تشويه قيمه الحضارية أمام العالم .

في ظل هذه الظروف الصعبة و القاسية من تاريخ الجزائر، ظهرت ثلة من الأدباء الجزائريين المتمكنين من اللغة الفرنسية و المتشربين من ثقافتها، و الذين تولدت لديهم رغبة جامحة للكتابة و «التعبير عما يجيش في صدرها (...)» و لم تستطع التعبير سوى بالفرنسية فعبرت مضطرة»⁽³⁾ حيث أن اللغة الفرنسية كانت السبيل الوحيد للكاتب الجزائري «ليصبح أمام مستعمره الذي نفى وجوده أمام الناس كلهم، أنا هنا، أنا موجود، أنا لم أتألاش»⁽⁴⁾.

1- عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ص 31

- مخلوف عامر، مظاهر التجديد في القضية القضيّة بالجزائر، دراسة ط2، دار الأمل تيزي وزو -الجزائر- 2008،

ص232

3- عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ص93

4- المرجع نفسه، ص54

لقد كان أول ما قام به الكاتب الجزائري هو نفخ الغبار عن مجتمعه و عن شعبه و عن وطنه الجزائر، و تقديمه للعالم بصورة جديدة مغايرة للصورة القديمة التي عهدها في كتابات المستعمر الفرنسي، كما التزم بقضية وطنه و نقلها التزاما و اخلاقيا و ثقافيا. إن الكتاب الجزائريون الذين استعانوا بالحرف الفرنسي كانوا من خريجي المدرسة الفرنسية و من الطبقة المثقفة، اتخذوا من اللغة الفرنسية وسيلة للتحدث بلسان الشعب الجزائري و للدفاع عن حقوقهم و استرجاع حريتهم، من خلال كتابات قصصية و روائية تحاكي الواقع و تفضح زيف الفرنسيين في الجزائر و ما ارتكبه في حق الشعب، و قد سجل التاريخ مآسيه و فضح جرائم فرنسا التي يطول الحديث عنها في غير هذا المقام .

أما جذور الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية فتمتد الى سنة 1891م، و كانت أول محاولة نثرية في الجزائر، وهي عبارة عن قصة موسومة بعنوان " انتقام الشيخ"، كانت أحداث هذه القصة « مستقاة حسب ما يذكر " ديجو" من التقاليد الاجتماعية الجزائرية، كتبها " محمد بن رحال " و نشرتها المجلة الجزائرية التونسية الأدبية و الفنية »⁽¹⁾ بعدها ظلت الأعمال الأدبية الجزائرية في حالة ركود و خمول، إلى أن اصدر " أحمد بروي " سلسلته القصصية الأولى سنة 1912م بعنوان " مسلمون و مسيحيون " .

يعتبر المؤرخ الأول للأدب الجزائري " جان ديجو jean dejeux " أن « سنة 1920 كانت بداية حقيقية لهذا الأدب الناشئ، و يعد مؤلف " القايد شريف " الموسوم بـ " أحمد مصطفى القومي " بداية الإنطلاقة »⁽²⁾ حيث يعد المؤرخون لهذا الأدب أن هذه الرواية كانت أول نص أدبي يصدره جزائري باللغة الفرنسية، و هو عبارة عن مذكرات شخصية يروي فيها صاحبها قصة مشاركته كمجنّد في صفوف الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الأولى. لقد ظهرت خمسة أعمال أدبية في الفترة الممتدة بين 1920 - 1930 و هي « مجموعة سالم القبي الشعرية، السيرة الذاتية للقايد بن شريف، و رواية "زهراء امرأة

1- أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره و قضاياها، ديوان المطبوعات الجزائرية، 2007، ص87

2- المرجع نفسه، ص 88 ، 89

المنجمي Zohra la femme du mineur " لـ " عبد الفادر حاج حمو " التي صدرت سنة 1925م، و رواية " مأمون بدايات مثل أعلى " Mamoun l'ébauche d'un idéal " لـ " شكري خوجة " التي صدرت سنة 1928م، و رواية " العليج أسير ببروسيا Euldj, El- captif des barbaresques " للكاتب نفسه التي صدرت سنة 1929م «⁽¹⁾ هؤلاء الكتاب الذين نشرت أعمالهم في هذه الفترة و اعتنى بهم المستعمر لأنهم نتاج المدرسة الفرنسية و اتخذوهم حجة لاقناع الرأي العالمي بأن وجوده في الجزائر مرتبط بفعل حضاري إنساني .

أما الفترة الممتدة بين 1929 - 1948 فقد شهد فيها الأدب الروائي الجزائري حالة ركود، إذ لم يتعد سبع روايات و لعل أبرزها و أهمها رواية « " مريم بين النخيل " (1934) لـ " محمد ولد الشيخ "، و " بولنوار فتى جزائري " (1941) لـ " راجح زناتي"، و " ليلى فتاة جزائرية" (1948) لـ " جميلة دباش" «⁽²⁾ هكذا كانت بداية الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية على يد أدباء أطلقوا على أنفسهم اسم المتطوعين و الذين « اقتنعوا أيما اقتناع بأن فرنسا قد نجحت في مهمتها الحضارية في الجزائر، إذ كان لابد من إظهار شيء أمام الرأي العام، و الفرنسي يبرر استمرار احتلال البلد» «⁽³⁾ و كان هؤلاء الأدباء يشعرون بالامتنان لفرنسا و يحاولون أن يثبتوا لها بأنهم تلاميذ نجباء و كتبوا للجزائر الفرنسية، تجلى ذلك في معظم أعمالهم التي تناولوا فيها موضوع الزواج المختلط بين الجزائريين و الفرنسيين، إضافة إلى موضوع المحرمات في الشريعة الإسلامية كالخمر و لعب القمار و غير ذلك من الموضوعات التي لم تكن تشير لرفض فرنسا و معارضتها بقصدية و رؤيا واضحة، و كانت أغلب أعمالهم تمجيدا لفرنسا، باعتبارهم يؤمنون بفكرة

1- احمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص94

2- المرجع نفسه، ص98

3- سامية ادريس: الرواية الجزائرية الحديثة بين الهوية الثقافية و الهوية السردية، المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال اليوم الدراسي الرواية بين ضفتي المؤنث، الجزائر 2001، ص 117

الاندماج في مجتمع المستوطنين، حيث « أنهم كانوا يشيّدون صراحة و بلا تحفظ بفضل الاستعمار على البلد و يظهرون اعجابهم بالثقافة و الحضارة الفرنسية »⁽¹⁾ كما أنهم كانوا « يكتبون باللغة الفرنسية إرضاء لفرنسا و للفرنسية و ليس للتعبير عن واقعهم وواقع شعبهم المضطهد»⁽²⁾ .

لكن انتهاء الحرب العالمية الثانية كحدث تاريخي عظيم كان له أثره على كل الشعب الجزائري حيث عرفت الكتابة في هذه الفترة -1948- خروجاً عن المألوف الذي اعتادته الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، و شهدت الساحة الأدبية صدور روايتي "إدريس" لـ "علي الحمامي" و رواية "ليبك" لـ "مالك بن نبي" و « كانا بعيدين عن الفكر الاندماجي الذي كانت تدعو إليه حركة "الفتيان الجزائريين" و تنبأه كتاب الروايات السابقة، و عبروا عنه في أعمالهم الأدبية»⁽³⁾ ففي رواية " إدريس " عمل " علي الحمامي " على تنوير الرأي العام بالأوضاع المزرية التي عاشتها الجزائر و عانى منها شعبها طوال فترة الاحتلال، و بهذا فقد اعتبرت روايته بداية « بروز الوطنية المغاربية الحديثة »⁽⁴⁾ أما في رواية " ليبك" فقد تناول مالك ابن نبي موضوع الخمر و طرح الحلول التي يراها مناسبة، و تمكن من التوبة النصوحة و الرجوع الى التعاليم الدينية الصحيحة، حيث أراد من خلال هذه الحلول أن « يبرهن بأن لاشيء قد ضاع و بأن الشعب يستطيع بلا ريب أن يمسك بزمام أمره و يستعيد شخصيته عن طريق تجديد تمسكه بعقيدته التي هي ضمان تحرره »⁽⁵⁾ .

1- أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص94

- جبور أم الخير: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، دراسة سوسيو نقدية، ط1، ردار ميم للنشر، الجزائر 2013
ص237

3- أحمد منور: أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، ص100

- عبد القادر جغلون: الاستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائر، تر سليم قسطون، دار الحداثة للطباعة للنشر و التوزيع، بيروت -لبنان- 1984 ص 229

5- أحمد منور: أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، ص102

أما فترة الخمسينات فقد شهدت الميلاد الفعلي و الحقيقي للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، إضافة الى أنها كانت منعطفا حاسما في مسيرتها الأدبية، و قد برز على إثرها كتاب جزائريون لمعت أسماؤهم في الساحة الأدبية، حيث بلغوا بأعمالهم مكانة عالية في الفن الروائي الجزائري أمثال "محمد ديب، مولود فرعون، مولود معمري، كاتب ياسين، مالك حداد، و آسيا جبار" و غيرهم « و قد كانت روايات هؤلاء حجة على بطلان ادعاءات المستعمر »⁽¹⁾ فكانت جل كتاباتهم متعلقة بالواقع الاجتماعي و السياسي و العادات و الأعراف التي تمثل الموروث الثقافي و القومي للهوية الجزائرية التي يحاول المستعمر طمسها و خير شاهد على ذلك ظهور الكتابات التي ظهرت في سنة 1950 " ابن الفقير " لـ "مولود فرعون" و التي تعد أول رواية إثنوغرافية إذ « يصنفها بعض الدارسين ضمن الرواية الإثنوغرافية، و البعض الآخر ضمن الأدب البيوغرافي، و هي تصور حالة البؤس و الفقر في القرى القبائلية»⁽²⁾ ثم تلتها روايات " محمد ديب " « الدار الكبيرة عام 1952م، ثم الحريق عام 1954م، ليلحقها برواية النول عام 1957م »⁽³⁾ ليشكل بها محمد ديب إلياذة الجزائر و "مذكرات الشعب الجزائري" حتى قيل: «استحق محمد ديب اسم بلزك الجزائر عن جدارة و بفضل مجهوداته الإبداعية الجادة التي لم تخرج في يوم من الأيام عن طموحات الشعب الجزائري الكبرى»⁽⁴⁾ حيث شكلت رواية " الدار الكبيرة " منعرجا مهما في تطور الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، باعتبارها أول رواية نزلت إلى الطبقات الكادحة و البسيطة من المجتمع، إضافة إلى كونها أول رواية جزائرية تتحدث عن النضال السياسي في الجزائر، ففيها برز الوعي بالهوية الوطنية الراضة للاستعمار الغاشم، كما اهتمت بتصوير كل أنواع القهر و الحرمان الذي عانى منه و عاشه الجزائريون إبان هذه

- حفاوي بعلي: أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، دار الغرب للنشر و التوزيع، ص

2- سامية ادريس: الرواية الحديثة بين الهوية الثقافية و الهوية السردية، ص117

3- وانيسي الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص04

4- المرجع نفسه، ص73

الحقبة من الزمن، ليتبعها بعد ذلك برواية "الحريق" التي واكبت اندلاع الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954م و رواية " النول " تعتبران كامتداد لرواية " الدار الكبيرة " .

إن كل من يقرأ ثلاثية محمد ديب يجد « مواقف كثيرة تشير اشارات واضحة الى الارهاصات الثورية »⁽¹⁾ الأمر الذي يؤكد ارتباط الأدب الجزائري بالثورة التحريرية المسلحة، و لهذا كانت لمحمد ديب بصمته الخاصة في أدب المقاومة. و سار على دربه العديد من الأدباء الجزائريين منهم "مولود معمري" في روايته الأولى الموسومة بـ " الربة المنسية" و التي صدرت سنة 1952م، و الثانية "سبات العادل" الصادرة سنة 1955م، و التي تعد حلقة من حلقات أدب المقاومة، كشف معمري من خلالها عن حالة البؤس و الحرمان الذي كانت تعاني منه القرى القبائلية المنعزلة في أعالي الجبال، تحت وطأة الاستعمار الذي استغل حالة الجهل و الأمية السائدة آنذاك ليضمن بذلك استمرار التحكم في مصائر العباد و ثروات البلاد.

أضف إلى هؤلاء كاتب ياسين الذي شكلت رواياته نضجا كبيرا و نالت رواجاً عظيماً، و من خلالها « دخل أجيج الثورة محالوا البحث عن أسلحة أكثر فعالية و أساليب أكثر بساطة لإيصالها الى الجمهور، مساهمة منه في تحريك الفعل الثوري»⁽²⁾ خاصة في روايته "تجمة" الصادرة سنة 1956م، و هي من بين الروايات التي كانت لها أهمية كبيرة و بارزة في تجسيد المعانات و الآلام التي عاشتها الجزائر على مر سنوات طوال، نقلتها في أصدق صورة و أمثلها «تجلت فيها قدرات الكاتب الفنية و تأثره بالثقافات الأجنبية التي لم تأكل المضمون»⁽³⁾ و التي صور من خلالها كل « ممارسات المعمرين ضد أصحاب الأرض،

1- شايف عكاشة: مدخل إلى علم الرواية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990، ص110

2- وانيسي الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص76

3- المرجع نفسه، ص73

كما صور مجازر 08 ماي 1945م ، التي قمع فيها المستعمر بوحشية المتظاهرين من أجل الحرية والعدالة و اعتبرها نوعا من الكتب التي تسبق الثورات و تخطط لها» (1) .

لقد تعززت بهؤلاء الكتاب و بأعمالهم «النزعة الاحتجاجية التي عرف بها الأدب الجزائري الفرنسي اللسان في فترة الخمسينيات، لتتحول مع الوقت الى كتابة نضالية ثورية في أعمال كاتب ياسين اللاحقة، و مالك حداد و آسيا جبار، وافقت الأحداث السياسة التي تحولت بداية سنة 1954م إلى كفاح مسلح دام سبع سنوات و نصف.» (2) فلم يتوان الروائي الجزائري عن تصوير هذه الثورة المجيدة، و بطش المستعمر الفرنسي الذي استعمل أبشع صور التعذيب و التتكيل.

حاول مالك حداد أن يصور وقائع الثورة التحريرية و يجسدها في أعماله الروائية، من بينها رواية " الإنطباع الأخير " الصادرة عام 1958م، و التي « تعد أولى الروايات التي صورت وقائع الثورة المسلحة» (3) و في رواية "صيف إفريقي" لمحمد ديب « قدمت نماذج من صور المقاومة الشعبية، أبطالها فلاحون من الأرياف، و حرفيون من المدن، و شبان و فتيات مثقفون و أنصاف مثقفين و أميون، و عرضت لوحات دامية مما كانت تقوم به القوات الفرنسية من قنبلة بالطائرات و قصف بالمدفعية للقرى و الأرياف، و تشريد لسكان تلك القرى، و ما كانت تفعله تلك القوات نفسها في المدن من قمع و ترهيب للسكان الآمنين، و تعذيب للمناضلين و الثوار الذين يقعون في أيديها » (4) إلى جانب الحرب و المقاومة تناولت هذه الرواية قضية المرأة و تحررها في المجتمع، و تتابعت الروايات في الظهور واحدة تلو الأخرى، ففي روايتي "التلميذ و الدرس" 1960م و "رصيد الأزهار لا يجيب" 1961م لمالك حداد، يرسم الكاتب جو الحرب « لكن بطريقة مختلفة عن طريقة "محمد

1- أمين زاوي: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، بحث تصور علاقات الإنتاج الروائي الإيديولوجي من 1930

إلى 1982، مخطوط ماجستير، دمشق سوريا 1983 ص320

2- أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص108

3- المرجع نفسه، ص 109

4- المرجع نفسه، ص 109

ديب" حيث يركز على جو القلق و التوتر الذي يطبع الحياة العامة، أكثر مما يركز على الأحداث و الوقائع، و يجعل أبطالها يعيشون ذلك القلق و التوتر، و يعانون الحرب و آثارها «⁽¹⁾ و العديد من الدارسين يرون أعمال مالك حداد تمثل « الرؤية الأكثر عاطفية تجاه ثورة التحرير.»⁽²⁾ .

لم تخل الساحة الأدبية الجزائرية من ظهور القلم النسائي الذي جاء مساندا للقلم الرجالي في فترة الاستعمار الفرنسي خاصة فترة الخمسينات، و الذي كان له دور هام في تطور الأدب الجزائري، ما يدل على ظهور العديد من الكاتبات اللواتي جاءت كتاباتهن متأخرة لأسباب عدة منها: الاستعمار الفرنسي، و انتشار الجهل و الأمية في أوساط المجتمع الجزائري دون تمييز بين الجنسين، إلا أن القلة القليلة كانوا متعلمين و متعلّقات، فكانت هذه الأقلية مفرنسة اللسان، لهذا جاء الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية سباقا لنظيره المكتوب باللغة العربية.

لقد كتبت المرأة الجزائرية بأسماء مستعارة، و لم تصرح باسمها الحقيقي لأن عادات و تقاليد المجتمع الي تعيش فيه تقيدها، فهي إذا « خرجت عن العادات و التقاليد التي رسخت في الأذهان و أن وجودها في الحركة الاجتماعية يثير الفتنة و يشجع على الانحلال»⁽³⁾ و خروجها عن هذا الوضع و انفجارا عن صمت دام طويلا، رفعت صوتها في سماء الجزائر المستعمرة احتجاجا على الوجود الإستعماري و صارت أسماؤهن معروفة. و من بين هذه الكاتبات اللواتي رفعن صوتهن " طاوس عمروش " أول روائية جزائرية كتبت

1-المرجع السابق، ص 110

2- نوال بن صالح: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية و ثورة التحرير، صراع اللغة و الهوية، مجلة المخبر، ع7، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2011، ص 225

3- باديس فوعالي: التجربة القصصية النسائية في الجزائر، ط1 دار هومة للنشر، الجزائر ، 2002، ص11

باللغة الفرنسية، بل تعتبر « أول روائية في شمال افريقيا »⁽¹⁾ كما يعتبرها أيضا "شريبط أحمد شريبط" « أهم روائية جزائرية تبرز في نهاية الأربعينات من القرن العشرين، و قد اشتهرت فيها بعد باسم "ماري لويس" بعد أن اعتنقت المسيحية »⁽²⁾، أصدرت أول أعمالها سنة 1947م، بعنوان "ياقوتة سوداء" ثم ألحقتها بمجموعة من الأعمال منها: " شارع الطبول سنة 1960م" ثم "الحبة السحرية سنة 1966م"، و في سنة 1975م تصدر رواية "العاشق الخيالي".

لقد أدرجت كريستيان عاشور روايات طاوس عمروش « لا سيما الأولى و الثانية ضمن الكتابة السيرذاتية بشكل قاطع »⁽³⁾ و الروائية عمروش في حد ذاتها تقر بأنه «لاوجود إلا للكتاب السيرذاتي»⁽⁴⁾ و من هنا يمكن القول أن طاوس عمروش كانت تكتب أعمالها الأدبية لتعبر عن «حب الانعتاق، البحث عن الانسجام، الاقتلاع و المنفى، حاجة النساء إلى التحرر، مسألة الأصول من خلال تجربة المنفى»⁽⁵⁾.

و في نفس السنة ظهرت جميلة دباش التي اتخذت من قلمها وسيلة للمقاومة و نشر الوعي، حيث تعتبر أول امرأة جزائرية تنشئ مجلة متخصصة بشؤون المرأة عام 1947م، و أول روائية جزائرية اهتمت بالوضع الاجتماعي للمرأة و مسألة تعلم الجزائريين.

أصدرت جميلة دباش روايتها الأولى الموسومة بعنوان " ليلي فتاة جزائرية" لتتبعها بروايتها الثانية عام 1955م بعنوان "عزيزة"، ولها أيضا عدة دراسات اجتماعية و اخرى تربوية، كذلك فهي تساهم « بمقالات عديدة في مجلتي (l'action) و (afrique) تدافع فيها

1- سامية داودي: سؤال الهوية في روايات طاوس عمروش مجلة مخبر تحليل الخطاب، العدد الخاص بأعمال اليوم الدراسي PNR، من السيرة الذاتية إلى الرواية السير - ذاتية، كتابات آل عمروش انموذجا، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2012 ص 92

2 - باديس فوعالي: التجربة القصصية النسائية في الجزائر، ص 17

3 - سامية داودي: سؤال الهوية في روايات طاوس عمروش مجلة مخبر تحليل الخطاب، ص 98

4-المرجع نفسه، ص 98

5-المرجع نفسه ص 98

عن حقوق المرأة المستلبة من الآخر / الرجل (المجتمع) و تؤكد على رغبة المرأة في التحرر و في البحث عن مجال لا تكون فيه أداة وظيفية مجردة من الإرادة، و تبرز دور التعليم و الإقبال على القراءة و الكتابة في التخلص من الإضطهادات السلطوية العميقة التي تتلقاها المرأة من سنين طويلة»⁽¹⁾ اذا فجميلة دبّاش كانت تسعى من خلال أعمالها الأدبية إلى المطالبة بالحقوق الاجتماعية للمرأة في سياق سياسي.

أما في سنة 1957م أصدرت آسيا جبار أول أعمالها الروائية بعنوان "العطش" بعدها تنشر مجموعة من الأعمال منها: "الجازعون سنة 1958م" ثم "أطفال العالم الجديد سنة 1962م" و في سنة 1967م تصدر رواية "القبران الساذجان" و جل هذه الأعمال تتمحور حول قضايا المرأة الجزائرية و الثورة التحريرية، و لقد عالجت آسيا جبار في « روايتها "العطش" الزواج المختلط أو الزواج من الأجنيبات، و في رواية "القلقون" تناولت عالم المرأة المغلق من خلال المنزل، الشارع، أما في رواية "أطفال العالم الجديد" تناولت إيجابيات المرأة التي تحملت مسؤولية النضال»⁽²⁾ و تواصلت آسيا جبار الكتابة الروائية مع رواية "الحب و الفانتازيا" سنة 1984م، و في سنة 2007 تصدر رواية "لا مكان لي في منزل أبي" و التي ترجمها "محمد يحياتن" إلى اللغة العربية بعنوان "بوابة الذكريات" .

تعتبر آسيا جبار من ابرز الأصوات النسائية التي كتبت باللسان الفرنسي في الأدب الجزائري، و قد كانت جل أعمالها الأدبية مزيجا بين الشعرية و الجمالية و النظرة التاريخية. و يمكن القول إن للظروف الاستعمارية القاهرة و العادات و التقاليد المتعصبة دورا كبيرا في ميلاد الأدب النسوي الجزائري المكتوب بالحرف الفرنسي الذي أصبح بدوره متميزا في طرح قضاياها، و من بين أكثر الإبداعات تأثيرا في العالم.

1- سامية داودي: جميلة دبّاش و قضية تعليم المرأة، مجلة مخبر تحليل الخطاب أعمال الملتقى الوطني PNR،

الرواية النسائية في الجزائر - النشأة و أسئلة الكتابة - جامعة مولود معمري تيزي وزو 2013، ص 56

2- أحمد دوغان: في الأدب الجزائري المعاصر منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1996، ص 420

كل هذه الأعمال الأدبية التي ظهرت في هذه الفترة سواء كانت رجالية أم نسائية، و إن كانت باللغة الفرنسية فإنها قد أثرت الأدب الجزائري الذي نهج نهجا جديدا و واصل تطوره عقب الاستقلال، و كان امتدادا لما قبله، و لم يخرج عن إطار الأدب الثوري أو بما يعرف بأدب المقاومة، و اتخذ من الثورة التحريرية المسلحة مرجعية أساسية له، فجل روايات فترة الستينات قد تبنت القضايا الثورية و مآسيها و أرخت لفترة زمنية عصيبة غيرت حياة الشعب الجزائري إلى الأبد، مثل تصوير عمليات المقاومة الفدائية، ذلك «ما نجده في رواية " أطفال العالم الجديد" سنة 1962م لآسيا جبار»⁽¹⁾ ووصف الحياة الصعبة داخل المعتقلات و السجون و محاولة الهروب منها كما «نجد في روايتي " أصابع النهار" 1967م لـ "حسين بوزاهر" و "أسلاك الحياة الشائكة" 1969م لـ "صالح فلاح"»⁽²⁾ و كانت أغلب هذه الأعمال حريصة على تصوير « بطش الاستعمار و بشاعة أعماله من جهة، و تشيد من جهة أخرى بكفاح الشعب و تتغنى بأمجاده و مآثره القديمة و الحديثة، و تعمق الإحساس بالوعي الوطني و وحدة الأمة»⁽³⁾ ، أما في فترة ما بعد الاستقلال فقد عرفت الرواية الجزائرية توجها جديدا، نتيجة الانقلاب العسكري الذي قام به "هوارى بومدين" على نظام "أحمد بن بلة" في 19 يونيو 1965 و قيام النظام العسكري، هذا ما دفع مجموعة من الكتاب إلى العيش في الخارج حتى يتمكنوا من التعبير عن أفكارهم و آرائهم بحرية تامة، و لقد جاء أدب تلك الفترة بنزعة سياسية انتقادية، لذلك أطلق عليه بعض الباحثين «بأدب النزعة الاحتجاجية، الاجتماعية و السياسية»⁽⁴⁾ و نذكر منه اعمال "محمد ديب" الروائية الصادرة في الفترة ما بين 1968 و 1973 على التوالي «"رقصة الملك" سنة 1968م و "اله أرض البربر" سنة 1970م و "معلم الصيد" سنة 1973م، و رواية "مراد

1- أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص111

2- المرجع نفسه، ص 111

3- المرجع نفسه ص 111

4- المرجع نفسه، ص 120

بوربون" المؤذن (1968م) و " التطبيق (1969م) و "ضربة شمس (1972م) لـ "رشيد بوجدره" و "موت صالح باي (1980) لـ "تبيل فارس" ⁽¹⁾ كل هذه الأعمال كانت مشتركة في المضمون و توجه نقدا شديدا للأوضاع السياسية و الاجتماعية آنذاك، حتى و إن اختلفت الطرق الفنية في التعبير عن ذلك.

و قد استمر هذا التوجه الانتقادي في العديد من الأعمال الروائية التي ظهرت بعد وفاة "هوارى بومدين" في أواخر شهر ديسمبر 1978م، حيث نجد ذلك جليا في روايات "رشيد ميموني" خاصة في روايتي "النهر المحول" الصادرة سنة 1982م، و التي عالج فيها موضوع تحول مسار الثورة التحريرية و أهدافها الاجتماعية، و رواية "طومبيزا" الصادرة سنة 1984م، انتقد فيها الأوضاع الاجتماعية السائدة آنذاك.

و الأمر نفسه في أعمال "الطاهر جاووت" « لكن برمزية أكثر إيغالا و غموضا، و بلهجة أقل حدة، مثل روايته "الباحثون عن العظام" (1984م) و إلى حد ما روايته "منزوع الملكية" (1981م) » ⁽²⁾ و هو بذلك يعتبر كأحسن شاهد على التوجه الجديد الذي استمر حتى بعد مظاهرات أكتوبر 1988م و الذي سمح بالتعددية الحزبية، و لعل من أبرز روايات هذه الفترة رواية "شرف القبيلة" لـ "رشيد ميموني" الصادرة سنة 1989م، و التي صور فيها انتشار الانتهازية و الرشوة و الجهوية و النفاق في قالب كاريكاتوري ساخر.

اتجه كتاب الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية إلى البحث عن شخصيات تجسد هويتهم الوطنية و الأمازيغية و الثقافية من خلال رواية "العبور" الصادرة سنة 1982م لـ "مولود معمري"، و رواية "ذاكرة الغائب" الصادرة سنة 1974م، و رواية "المنفى و الحيرة" الصادرة سنة 1976م لـ "تبيل فارس".

لقد ظل الأدب الجزائري دائما يستقي موضوعاته من الواقع المعيش آنذاك و يصور كل التغيرات الاجتماعية و السياسية التي كانت تحدث في تلك الفترة، و اللافت للأنظار

1- احمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص 121

2- المرجع نفسه، ص 121

أن الموضوع الذي بقي حاضرا على الدوام في الروايات الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية « و نعني به موضوع السيرة الذاتية للمؤلفين، نذكر منها رواية "شمس تحت الغربال" (1982م)، و"النظرة المجروحة" (1987م)، وكلاهما لـ"رابح بلعمري" و"راس المحنة" (1991م) لـ "عبد الرحمان وناس" (1)

و مع مطلع التسعينيات و بداية نشاط الأحزاب السياسية و صعود المد الإسلامي مع حزب الجبهة الإسلامية، برزت عدة أعمال روائية انتقدت هذا المد و اعتبرته خطرا سياسيا و اجتماعيا يهدد الديمقراطية والحريات العامة، و من أهم هذه الروايات: المجموعة القصصية لـ "رشيد ميموني" مثل «" الغولة" (1990م) و رواية "اللغة" (1993م) التي تتخذ من اعتصام الاسلاميين في ساحة أول مايو في شهر يونيو 1991م، و استيلائهم على قسم الاستعجالات في مستشفى مصطفى باشا، بعد صدامهم مع قوات الأمن» (2) و هذا ما جعل هذه الروايات تحمل اسم "رواية الأزمة" أو "الأدب الاستعجالي"، ذلك لأنها عكست الواقع المتأزم و عايشة الأزمة السياسية التي مرت بها الجزائر طوال فترة العشرية السوداء، و من أشهر الأعمال الرواية التي صورت هذه الفترة رواية "معرض الأوباش" الصادرة سنة 1993م، ورواية "الجنون بالمبضع" الصادرة سنة 1990م، و رواية "بما تحلم الذئاب" الصادرة سنة 1999م، لـ "ياسمين خضرا" و رواية "تيميمون" الصادرة سنة 1994م، لـ "رشيد يوجدة".

و في الأخير يمكن أن نلخص مراحل نشأة و تطور الأدب الجزائري في أربعة مراحل رئيسية و هي :

« مرحلة ما بين الحربين، و هي مرحلة البداية التي كانت متعثرة فنيا، و متذبذبة سياسيا، و المرحلة التي تمتد ما بين نهاية الحرب العالمية الثانية و قيام ثورة التحرير في الفاتح نوفمبر 1954م، و هي مرحلة التملل و القلق و ترقب ما سيحدث، حث كانت كل

1- احمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص124

2- المرجع نفسه، ص 124، 125

المؤشرات في هذه الفترة تنبئ بأن شيئاً ما سيحدث، و مرحلة الثورة التي لم يكن فيها أمام الكتاب أي مجال للتردد أو الحياد، و مرحلة ما بعد الاستقلال التي عرفت تنوعاً كبيراً في المواقف و الرؤى حول مختلف القضايا الاجتماعية، و التوجهات السياسية والفكرية، و حول القضايا الفنية أيضاً، كما عرفت تأثراً بالأحداث السياسية الكبيرة التي مرت بها الجزائر ⁽¹⁾ »

2- رواد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية :

إن لكل فن بداياته التي يؤسسها مجموعة من الرواد الذين يحملون على عاتقهم مهمة التأسيس للفن، و الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية له رواده من الكتاب و الروائيين الذين قدموا روايات عديدة ارتبطت بالواقع المعيش سواء في جانبه السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي.

يزخر الأدب الجزائري بالعديد من الكتاب و الأدباء الذين استعانوا بقلمهم و استعاضوا به عن السلاح و أخذوا على عاتقهم مهمة « فضح واقع البؤس و المعاناة التي عايشها الجزائري و أعلنوا بطريقة مباشرة أو ضمنية عن اعتراضهم عن الممارسة الاستعمارية » ⁽²⁾ فجمعوا في نصوصهم « مظاهر تقليدية و أخرى جديدة، فتطرقوا إلى العادات و التقاليد العربية و الإسلامية و الملامح المحلية و الحياة اليومية للإنسان البسيط » ⁽³⁾ فكتبوا باللغة الفرنسية مرغمين و مضطرين ليرفعوا صوته في وجه فرنسا و لينقلوا واقعهم المرير و أحلامهم المدفونة، إذ لم يكن سهلاً عليهم أن يكتبوا بلغة غير لغتهم الأم، لكنهم تمكنوا من فرض أنفسهم في مجال الأدب، و من بين هؤلاء الذين كتبوا عن الثورة التحريرية المسلحة:

1- احمد منور، الأدب الجزائري المكتوب باللسان الفرنسي، ص127

2- عائدة أديب بامية: تطور الأدب القصصي في الجزائر، ص137

3- المرجع نفسه، ص138

- مولود فرعون:

ولد في 08 مارس 1913م بـتيزي هبيل التابعة لتيزي وزو، و توفي في 15 مارس 1962م، رجل فرعون و ترك كلمته المشهورة « أكتب بالفرنسية لكي أقول للفرنسيين بأني لست فرنسيا »⁽¹⁾، و يعتبر من الكتاب الأوائل الذين أصدروا رواية باللغة الفرنسية و هي رواية "البن الفقير" التي صدرت سنة 1950م، و تلتها أعمال أخرى مثل "الارض و الدم" (1953م)، و "الدروب الوعرة" (1957م)، و الكتابة عند "مولود فرعون" هي مجرد تعبير عن الذات وتعرفها بالواقع فقط، كما أنه لا يكتب إلا عن القضايا التي يعيشها و يفهمها.

- مولود معمري:

ولد في 18 ديسمبر 1917م بـ "توريت ميمون" بالقبائل الكبرى، و توفي في 26 فيفري 1989م، و هو أيضا من الكتاب الأوائل الذين أسسوا للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، أصدر روايته الأولى الموسومة بـ "الهضبة المنسية" عام 1952م، وأتبعها بمجموعة من الأعمال منها "سبات العادل" سنة 1955م، ثم "الأفيون و العصا" سنة 1965م، و أخيرا "العبور" سنة 1982م.

و "مولود معمري" هو أيضا يعتبر أن اللغة الفرنسية ليست أداة للخيانة و إنما ناقل للحقائق و ترجمة لصور الواقع، و اعتبرها وسيلة للتحرر و التواصل مع العالم.

- محمد ديب:

ولد في 21 جويلية 1920م بـتلمسان، و توفي سنة 2003م، «و هو مؤلف الثلاثية المسماة "إلياذة الجزائر"»⁽²⁾ فالكتابة عنده لا تقل أهمية عن أهمية السلاح في الحرب، و أعماله كانت تحرض على الثورة و تشعل لهيبها، و بذلك استطاع أن يترك بصمة واضحة في أدب المقاومة، أصدر الرواية الأولى ثلاثيته المشهورة "الدار الكبيرة" سنة 1952م، ثم الجزء الثاني "الحريق" سنة 1954م، تزامنت مع اندلاع الثورة التحريرية، و الجزء الثالث "

1- زهرة ديك: من روائع الأدب الجزائري، دار الهدى لجزائر، ج1، 2014، ص 223

2- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5 دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 98

النول" سنة 1957م، و تليها عدة أعمال أخرى منها " صيف افريقي " سنة 1959م، و " من يتذكر البحر " سنة 1962م، و "رقصة الملك" سنة 1968م، و رواية " الرب في بلاد البربر" سنة 1970م.

- كاتب ياسين:

ولد في 06 أوت 1929م بمدينة قسنطينة، و توفي في 28 أكتوبر 1989م، نشر روايته الأولى باللغة الفرنسية الموسومة بـ "تجمة" سنة 1956م « و التي تعتبر أحسن شاهد على ميلاد الجزائر الجديدة »⁽¹⁾ و اللغة الفرنسية حسب رأيه « تبقى أكثر اللغات إمساكا و تعبيراً عن التناقضات بشكل واضح »⁽²⁾ و بعد الاستقلال قرر كاتب ياسين أن يكتب باللغة العربية مجموعة من المسرحيات للتقرب من الجمهور الجزائري، و ذلك قد أشعره بالانتماء إلى أرض الوطن و إلى الشعب.

- مالك حداد:

ولد في 05 جويلية 1927م، و توفي في 02 جوان 1978م بقسنطينة، و هو من أبرز الكتاب الذين كتبوا باللغة الفرنسية، لكنها شكلت سجنا له و وقفت كحاجز بينه و بين بني جلدته الذين لا يتقنونها، و اشتهر بمقولته « الفرنسية منفاي، لذا قررت أن أصمت »⁽³⁾ و من أشهر مؤلفاته التي كتبها في المنفى رواية " الانطباع الأخير " سنة 1958م، تليها مباشرة رواية " ساهبك غزالة" التي صدرت عام 1959م، ثم روايته " التلميذ و الدرس" التي صدرت سنة 1960م، فرواية " الأزهار لا يجيب" الصادرة سنة 1961م، و لقد ترجمت معظم أعماله إلى اللغة العربية.

1 - ابو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص 102

2- عايدة أديب بامية: تطور الأدب القصي في الجزائر، ص 155

3 - زهرة ديك: من روائع الأدب الجزائري، ص12

- آسيا جبار:

ولدت في 30 يونيو 1936م في شرشال، غرب الجزائر العاصمة، توفيت في 06 فبراير 2015م، أصدرت أول رواية لها سنة 1957م تحت عنوان " العطش " بعدها مباشرة تنشر رواية " القلقون " سنة 1958م، ثم رواية " أطفال العالم الجديد " سنة 1962م، ثم رواية " القبران السانجان " سنة 1967م، ثم " الحب و الفانتازيا " سنة 1987م، بعدها رواية " الظل و السلطان " سنة 1987م، ثم رواية " بعيدا عن المدينة المنورة " سنة 1991م، ثم رواية " امرأة بدون قبر " سنة 2002م، و رواية " اندثار اللغة الفرنسية " سنة 2003م، و أخيرا رواية " لا مكان لي في بيت أبي " سنة 2007م، و آسيا جبار اختارت الكتابة باللغة الفرنسية من أجل التعبير عن تجاربها الذاتية، كما أن في معظم أعمالها تتناقص آلام و مآسي المرأة الجزائرية، و نادت بتحريرها من ظلم الاستعمار و من الهيمنة الذكورية.

إن اللغة التي استعملها هؤلاء الكتاب كانت لغة راقية جدا، ضاهت في جمالها لغة أمهر الكتاب الفرنسيين أمثال " بلزاك " و "فلوثير"، و استطاعوا من خلالها أن يعبروا عن خصوصيات الثقافة العربية و الإسلامية و الأمازيغية و جل هؤلاء الأدباء لم « يمارسوا الأدب إلا بعد التجارب التي اقتنتوها في مختلف الحرف، لذلك جاءت موضوعاتهم الأدبية تعبر عن خبرة شخصية بالمشاكل اليومية (...) و من المهم أن نلاحظ أنهم جميعا قد مارسوا حرفة التعليم، و هي مهنة مازال يشغلها الكثير منهم إلى اليوم، أما الصحافة فقد منحتهم الفرص لكي يروا و يشعروا بالعالم حولهم » ⁽¹⁾، و بهذا ارتقت الرواية ذات اللسان الفرنسي إلى مصاف العالمية و أصبحت أعمال فنية خالدة في تاريخ الجزائر.

1- أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص 96

3- موقف مالك حداد من الكتابة باللغة الفرنسية:

يعتبر مالك حداد من بين الكتاب الجزائريين الذين لم تسمح لهم الظروف بتعلم لغتهم الأم، فكتبوا بلغة غيرهم مرغمين ومضطرين، كتبوا باللغة الفرنسية للتعبير عن همومهم و آلام و أحزان أبناء جلدتهم بصدق و إخلاص، و لكن مالك حداد قرر التوقف نهائيا عن الكتابة باللغة الفرنسية بعد الاستقلال، و عكف عنها و هو في أوج عطائه، و قال في محاضرة كان قد القاها في دمشق: « نحن الكتاب الجزائريين الذين نكتب باللغة الفرنسية يجب أن ننهي عندما تتحرر الجزائر لأن مهمتنا تنتهي آنئذ » (1).

و لعل اتخاذ لموقفه هذا جعله متميزا عن غيره من الكتاب الجزائريين الذين لم يطرحوا قضية "اللغة" قبل الاستقلال، و كان مالك حداد أول من طرحها لأنه كان « معتبرا اللغة الفرنسية منفاة الحقيقي الذي حرمة من الكتابة بلغته القومية المتمثلة في اللغة العربية » (2)، وصرح بذلك في حديث له مع "كامو" قائلا: « إن اللغة الفرنسية هي منفاي » (3) مما يدل على أنه كان يحس بالمأساة و الاغتراب في لغته، فقد « ظل مالك حداد يحمل مأساته المزدوجة، و بما يحس يختلف مع الآخرين، هذا الهم المزدوج "الاستعمار و اللغة" هو الذي حدد مسار أعماله. فبالرغم من مأساة اللغة ظل هذا الأديب نقيا، يعبر عن هموم وطنية و قومية و إنسانية، برؤية تقدمية في شكلها العام، بعيدة عن كل روح شوفينية، الأمر الذي ساعده على عدم السقوط في التعمم و الغموض » (4) و ذلك ما خلف لديه صراع نفسيا حادا.

لقد عبر مالك حداد عن شعوره بالمنفى و هو يكتب باللغة الفرنسية و عن عجزه عن التعبير باللغة العربية و الذي كان بسبب الوجود الفرنسي ، و على الرغم من أنه « كان يتقن

1- مالك حداد: التلميذ و الدرس، تر: سامي الجندي، منشورات وزارة الثقافة مكتبة الأسرة الأردنية، 2008، ص 11

2- عمر بن قينة: أعلام و أعمال في الفكر و الثقافة و الأدب، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 2000، ص 332

3- مالك حداد: التلميذ و الدرس، ص 11

4- حفناوي بعلي: مقارنة في خصوصية الأدب الجزائري الحديث، جامعة عنابة الجزائر، ص 13

اللغة الفرنسية إتقانا جيدا، و لكنها كلغة لم تطغ على مشاعره، أو تسيطر على وعيه و تفكيره كما حدث للبعض، بل كان ينظر إليها باعتبارها أداة يعبر بها عن فكره، و تجاربه، و مشاعره، كان رحمه الله إنسانا و طنيا مخلصا. «⁽¹⁾ فالكاتب الجزائري ليس بإمكانه التعبير عن هويته الوطنية بلغة غير لغته الأم، إلا أنه استخدم اللغة الفرنسية مضطرا للحديث عن ذاته، و يؤكد مالك حداد ذلك في قوله: « كان علينا وقد حررنا الإستعمار الفرنسي من لغتنا الأم، أن نستخدم اللغة الفرنسية و هي لا شك رائعة لكنها ليست لغة أجدادنا، الأمر الذي حملنا على أن نوجد انسجاما و تنسيقا بين عبقريتنا القومية، و بين أداة لغوية أجنبية كان لابد من استخدامها «⁽²⁾ ، و من هنا يمكن القول إن اللغة جزء لا يتجزأ من الهوية الوطنية.

و لطالما ظلت مشكلة اللغة تطارد مالك حداد و تحتل مركز تفكيره، فهو دائما ما كان منعزلا عن الوطن العربي الذي ينتمي إليه، بسبب عدم قدرته على التواصل مع جمهوره أو على عدم قدرته على توصيل أفكاره لهم، فنجد في أحد خطاباته يخاطب الجمهور الجزائري فيقول: « لماذا لا تفهمون ما أقول، و لماذا لا أستطيع التكلم معكم باللغة التي تربط مصيرنا و طموحاتنا المشتركة عن الواقع الجزائري، و عمن كان السبب في حرماننا من التحدث إليكم باللغة التي تفهمون و التي هي وعاء أجداننا «⁽³⁾ ، فجعله اللغة العربية التي تربطه بأبناء بلده عمق إحساسه بالعجز و اليأس، لذلك كثيرا ما نجده يتحسر على حاله قائلا: « أنا الجزائري المستعمر من دولة فرنسا لا أستطيع أن أخاطبكم بلغة الأجداد، أي اللغة العربية، أتيت لأعبر لكن بلغتنا، و الأدهى و الأمر من ذلك أنني صرت بحاجة إلى مترجم لكي يوصل لكم أفكاري و يفسر لي تساؤلاتكم. «⁽⁴⁾ .

1- عبد الله ركيبي، حوارات صريحة، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2000، ص 102

2- أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1996، ص 330

3- الطيب ولد لعروسي: أعلام الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة للنشر، 2009، ص 129

4- المرجع نفسه، ص 129

إن قرار التوقف عن الكتابة باللغة الفرنسية الذي اتخذه مالك حداد كان من أجل أن يمنع خطرا يحدق باللغة العربية عامة و بالثقافة الجزائرية خاصة، فإذا ما استمر في الكتابة باللغة الفرنسية يمتن دعائمها التي طالما سعى المستعمر الفرنسي لتقويتها و يحافظ على مكانتها، و يرسخ حضورها في الأدب الجزائري، لهذا قرر مالك حداد التوقف نهائيا عن الكتابة بلغة الآخر من أجل أن تشق اللغة العربية سبيلها في بلد استرد حريته حديثا.

مدخل:

تعد الهوية المفتاح الذي يميز بين الأفراد و بين الشعوب و المجتمعات، و هي من أهم العناصر التي تسهم في بناء الذات، و من أكثر المفاهيم تعقيدا، لذلك فإن الحديث عن مصطلح الهوية ليس بالأمر الهين ، نظرا لغموض المفهوم و طبيعته، و لما يحمله من تشابك و تعقد إشكالاته، فهناك من الباحثين من يرى بأن « ثمة تكافؤ بين الهوية و الذات و الأنا »⁽¹⁾ ، و هناك من يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول: « تعتبر الهوية مكونا أصليا من مكونات الذات، حيث حرص الأديب العربي على أن تتعكس ملامح هويته القومية على ابداعاته، فصارت أهم التيمات المهيمنة على الروايات، التي يتبرها كتابها و كذلك النقاد أداة لفهم المجتمع العربي و تحولاته إلى جانب ما تقدمه من متعة للقارئ. »⁽²⁾ .

كما تعتبر الهوية من الموضوعات الشائكة و المعقدة لذلك أصبح « مفهومها يشغل اهتمامات الكثير من ميادين البحث، مما زاد في تعقيد و عدم امكانية تحديده، و عدم القدرة على إعطائه مدلولاً صالحاً لكل هذه الميادين »⁽³⁾ ، لأنها من الأسماء المستحدثة، فهي اسم ليس عربي الأصل و إنما أضيف إلى اللغة العربية عن طريق الترجمة « فاشتق هذا الاسم من حرف الرباط، أعني الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، و هو حرف ((هو)) في قولهم: زيد هو حيوان أو انسان »⁽⁴⁾.

1- محمد مسلم: الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2009، ص 86

2- محمد بريدة: فضاءات روائية، وزارة الثقافة، ط1، المغرب، 2003، ص 53

3- محمد مسلم: الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا، ص 85

4- جميل صليبيبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنجليزية و اللاتينية، ج2، من (ط إلى ي) دار الكتاب اللبناني لبنان، 1982، ص 529

و قد عرفها الفرابي في قوله: « هوية الشيء و عينيته، و تشخصه، و خصوصيته، و وجوده المنفرد له كل واحد، و قولنا أنه هو إشارة إلى هويته و خصوصيته و وجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك »⁽¹⁾.

و للهوية عند القدماء عدة معان، و هي « التشخيص و الشخص نفسه، و الوجود الخارجي قالوا: ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه يسمى حقيقة و ذاتا و باعتبار تشخصه يسمى هوية، و إذا أخذ أعم من هذا الإعتبار يسمى ماهية »⁽²⁾، بينما ورد مفهوم الهوية في معجم الوسيط مرتبطا « بحقيقة الشيء أو الشخص الذي يميزه عن غيره »⁽³⁾، و هو المفهوم نفسه في قاموس "المنجد" باللغة العربية « حقيقة الشيء أو الشخص، المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية، و هي في اللغة العربية مشتقة، كما هو واضح في مبناها، من الضمير المنفصل ((هو)) الذي يدل على ذات الشيء أو الشخص، المستقلة عن ذوات الأشياء أو الأشخاص الآخرين »⁽⁴⁾.

أما اللفظ الذي يقابل هذه الكلمة باللغة الفرنسية (Identité) فهو « مشتق من الكلمة اللاتينية (Edén) التي تقال عن الأشياء أو الكائنات المتشابهة أو المتماثلة تماثلا تاما، مع الاختفاظ في ذات الوقت يتميز بعضها عن بعض »⁽⁵⁾.

و الهوية على حسب ما شرحها قاموس "لاروس" تعني « مجموع الظروف أو الحثيات التي تجعل من الشخص شخصا متميزا أو محددا »⁽⁶⁾، و يتفق قاموس "روبير" في تعريفه للهوية مع ما جاء في معجم "لاروس" فهو يعرفها بأنها « ما يسمح بالتعرف على

1- جميل صليبيبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنجليزية و اللاتينية، ص 530

2- المرجع نفسه، ص 530

3- ابراهيم أنيس وآخرون: معجم الوسيط، ط4، مجمع اللغة العربية مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص 998

4- أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره، ص 12

5- المرجع نفسه، ص 12

6- المرجع نفسه، ص 12

الشخص بين جميع الأشخاص الآخرين، لكنه يضيف بين قوسين بأنها « الحالة المدنية و الصفات المميزة للشخص » (1).

و من خلال تعريفات المعاجم السابقة الذكر، فإن مفهوم الهوية: « يعني وجود كيان مستقل لكل شيء أو كل كائن عن الأشياء أو الكائنات الأخرى، مهما تشابهت خصائصها معه » (2).

بينما تذكر " الموسوعة الفلسفية " في تعريفها للهوية بأنها « مقولة تعبر عن تساوي و تماثل موضوع أو ظاهرة مع ذاتها (...) و يتطلب تعيين هوية الأشياء أن يكون قد تم تمييزها مسبقا، و من ناحية أخرى، فإن الموضوعات المختلفة غالبا ما تحتاج إلى تحديد هويتها بهدف تصنيفها، وهذا يعني أن الهوية ترتبط ارتباطا لا يمكن فصله بالتمييز (بين الأشياء) ... » (3) و تعريف الموسوعة لا يختلف عن بقية التعريفات التي سبق ذكرها، غير أن مفهومها قد تطور في العصر الحديث على يد الفيلسوف الإنجليزي " جون لوك john loke " الذي أضاف إلى معاني هذه الكلمة بعدا نفسيا لدى الإنسان فعرفها قائلا: « إن "الذات" أو الـ "هو" (le soi) أو (self) هو ذلك " الشيء le chose " المفكر، الوعي (كائنا ما كانت الصورة التي تتجلى فيها، روحية أو مادية بسيطة أو مركبة لا يهم) الحساس نحو المتع و الألم أو الوعي بها، الخلق بالسعادة أو الشقاء الذي يكون اهتمامه فيه، و الحال هذه، منصبا على ذاته ... و هو ما يجعل من وعي ذلك " الشيء الوعي " يلتقي مع ذاته، و ليس مع غير ذاته، ليشكل شخصا واحدا، و ذاتا واحدة. وعلى هذا النحو تسند كل أفعال ذلك الشيء لذاته و تصير ملكهم، باعتبارها أفعاله، بالقدر الذي

1- أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص 12

2- المرجع نفسه، ص 13

3- المرجع نفسه، ص 13

يمتد ذلك الوعي، لأبعد منه ⁽¹⁾، و عليه فمفهوم الهوية مرتبط بالوعي، لأنه لا يمكن الحديث عن هوية شخص ما في غياب وعيه بنفسه و بأفعاله.

بالإضافة إلى المفكر و الفيلسوف " رالف لينتون **Ralph linton** " الذي ربطها في تعريفه بالواقع الاجتماعي، و بأنها « المجموعة المتكاملة من صفات الفرد العقلية و النفسية، أي المجموع الإجمالي لقدرات الفرد العقلية و إحساسه و معتقداته و عاداته و استجاباته العاطفية المشروطة » ⁽²⁾.

هكذا اتسع مفهوم الهوية ليصبح أكثر التصاقا و ارتباطا بالإنسان حيث سمي بمسمات أخرى مثل « الشخصية و الإينية و الكينونة و الذات، ليكون مجالا واسعا و حقلًا خصبا للدراسات النفسية و الاجتماعية و الإنترولوجية و الوراثة » ⁽³⁾ و غيرها من التسميات.

أما إذا رجعنا إلى الهوية العربية الإسلامية خاصة الجزائرية، فنجدها قد « تعرضت خلال تاريخها الطويل إلى سلسلة من التحديات الكبرى و الخطيرة، دخلت خلالها أمتنا في مواجهات شتى من أجل الحفاظ على هويتها و خصوصيتها الثقافية و الحضارية » ⁽⁴⁾ ، فقد حاول الإستعمار الفرنسي بكل قوته العسكرية و السياسية و الثقافية سلب و إنكار هوية الشعب الجزائري « و جعل ضمن مبررات يصورهم عبارة عن أعراق مهتلفة و قبائل متفرقة و متناحرة » ⁽⁵⁾ و قد صرح بذلك الجنرال "ديغول" في قوله: « إنها لم تكن ذات يوم دولة، و لا أمة، و إنما هي مجرد خليط مزركش من عشائر متطاحنة » ⁽⁶⁾ و أضاف "ألان جوبيير"

1- أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره ص 14، 15

2- عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان (الإنترولوجيا) منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 2003، ص 77

3- أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره، ص 15

4- خليل نوري، سهرير العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة و الثقافة، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، ط1،

عدد 214، بغداد-العراق-، 2009، ص 07

5- أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره، ص 19

6- ينظر: المرجع نفسه، ص 20

قائلا: « إن الجزائر قد بدأت تاريخها سنة 1962، و عبر عن هذا المعنى جيسكار ديستان نفسه بلغة ديبلوماسية، في زيارته للجزائر سنة 1975، حين قال: إن فرنسا التاريخية تحيي الجزائر المستقلة »⁽¹⁾، ما يعني أن الإستعمار الفرنسي قد استطاع زرع الشكوك في نفوس بعض الجزائريين حول هويتهم الوطنية، و لكن على الرغم من تلك الآراء و التصريحات التي صدرت عن بعض السياسيين العسكريين و الفرنسيين، فإن « الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، و إن كان في أعماقه الأكثر طرحا و دعما للهوية الجزائرية، و ما كانت اللغة التي كتب بها إلا غلافا خارجيا. لقد كان اللسان الناطق بلغة هذا المستعمر، الصارخ في وجهه: « لست منك و لست مني »⁽²⁾.

و لقد كان مالك حداد من أبرز الكتاب الجزائريين الذين تطرقوا لمسألة أزمة الهوية الثقافية الجزائرية في معظم أعمالهم الروائية، و قد حاول من خلال روايته " الإنطباع الأخير" طرح موضوع الهوية الجزائرية والانتماء القومي، و إظهار موقفه من الحرب، و يبدو أنه مثل الثورة التحريرية من خلال إشكالية الهوية التي سعى المستعمر لطمسها من خلال استراتيجية التعليم باللغة الفرنسية لتنشئة جيل جديد يكون لسانه فرنسيا و يميل بذلك للهوية الفرنسية.

و تعتبر رواية "الإنطباع الأخير" أنموذجا حيا عن النصوص الروائية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، التي صورت كل أشكال المعاناة و المآسي التي عاشها الشعب الجزائري جراء المجازر و الممارسات العنيفة التي ارتكبتها المستعمر الفرنسي في حقه.

لقد حاول مالك حداد في روايته "الإنطباع الأخير" أن يطرح من خلال شخصياته مجموعة من أفكاره الإيديولوجية و أن يبين للقارئ أن معاشة سكان المدن للمعمرين لم تصل أبدا حدّ الاندماج حيث بقيت فروقات كثيرة تفصل بينهم، و لم يكن بإمكان الجزائريين

1- ينظر: أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره ص 20

2- نبيلة زويش: إشكالية الهوية في رواية الإنطباع الأخير لمالك حداد، مجلة معارف، ع 11، قسم 2: الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة البويرة، ص 19

التخلي عن عاداتهم و تقاليدهم و مبادئ دينهم، و كان بطل الرواية " سعيد " أحسن مثال لتمثيل هذا الواقع المعيش، فعلى الرغم من تعليمه الفرنسي و مستواه الثقافي و علاقات الصداقة التي جمعتها بأبناء المعمّرين إلا أنه وجد نفسه في لحظة اختيار حاسمة و هو الذي ارتبط مباشرة بهويته، و من ثمة سنحاول التركيز على هذه الشخصية الرئيسية لننبين كيف نسج مالك حداد خيوط هذا المسار السردى ليكتب عن إشكالية الهوية التي ترتبط مباشرة بالثورة التحريرية الجزائرية التي كان هدفها الأساسي إسترجاع الوطن المسلوب و الذي سُلبت معه هوية شعب بأكمله .

1- سعيد و الإنتماء الجزائري (بطاقته الدلالية):

إن الإنتماء عنصر ضروري لكل إنسان، و من دونه لا يمكن أن يتميز عن بقية الناس، و يمكن تعريف الإنتماء بأنه « العلاقة الإيجابية و الحياتية التي تؤدي إلى التحقق المتبادل تتنفي منها المنعة بفهوم الريح و الخسارة، و ترتقي إلى العطاء بلا حدود(...) و يتجلى الإنتماء بصورة عالية عندما يتعرض الوطن لأي اعتداء خارجي، و الإنتماء قد يكون طبيعي فطري (...) و قد يكون انتماء عاطفي تجاه موقف أو ظروف طارئة، و لكن أرقى انتماء هو الإنتماء المنطقي الناتج عن المعرفة و إعمال العقل، و نسبة المنتمون منطقيا قليلة و لكنها دائما فاعلة و مؤثرة في حركة المجتمعات »⁽¹⁾ .

و لا يمكن أن تقدم الشخصيات في الكتابات الروائية دون انتماءاتها و القضايا التي تتعلق بها، و قد حرص "مالك حداد" على طرح مشكلة الإنتماء من خلال شخصياته، خاصة شخصية "سعيد" التي تداخلت فيها عناصر الصراع بين الإنتماء الجزائري و الإنتماء الفرنسي، و المشاركة في الحرب ضد المستعمر على أساس أن الثورة الجزائرية كانت ضد الظلم الذي سلطته فرنسا على الشعب الجزائري، و أرادت أن تفقده هويته، و لهذا إتصال

1- عبد الباسط هويدي: المنظومة التربوية و فكرة الإنتماء الاجتماعي، مجلة العلوم الإنسانية و الإجتماعية، ع26،

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي-الجزائر - 2016، ص 116، 117

البطل بالثورة كان تجسيدا لاختيارات صعبة عرفها أبناء الجزائر الذين تربوا في كنف المدرسة الفرنسية .

1-1 البطاقة الدلالية لشخصية سعيد:

تعد الأسماء الواجهة الأولى التي نستطيع من خلالها أن نميز الأشخاص من بعضهم البعض، و تكمن أهمية الاسم في إظهار تميز الشخص و هويته و إنتمائه، و قد ركز مالك حداد في روايته على هذا الجانب، حيث اختار لشخصيته الرئيسية اسما مناسبا يدل على أصولها و انتمااتها، و ذلك الاسم هو "سعيد" و هو من الأسماء عربية الأصل المألوفة، و كذلك هو اسم متداول و منتشر في الجزائر، حيث اتخذ الكاتب كاسم لشخصيته الرئيسية و جعل من جيله جيل الإنطباع الأخير، مطلقا إياه عنوانا لروايته، « كان هذا الجيل الإنطباع الأخير لخرافة القرون. »⁽¹⁾.

و لم يكتف مالك حداد برسم شخصيته و تحديد بطاقتها الدلالية عن طريق الاسم فقط بل دعم ذلك بإظهار أصولها و انتمااتها بطرق مباشرة و أخرى غير مباشرة، فمن الطرق المباشرة يذكر الكاتب جزائرية " سعيد" الذي « يقع في حيرة شديدة من أمره، بل، و في ارتباك لا مثيل له مع نفسه و ضميره، لأن مهنته كمهندس كانت تقوم على بناء الجسور لا على هدمها، و لكن في المقابل كان واجبه الوطني كجزائري، يحتم عليه أن لا يبقى مكتوف اليدين أما ما يحدث، و أن يسهم بدوره، و حسب استطاعته في الكفاح الوطني الي يخوضه أبناء جلدته ضد الاستعمار »،⁽²⁾ و في حوار دار بين "سعيد" و الطبيب "روبير" نجد أن سعيد يبين انتماؤه الحقيقي "إني جزائري" « لا أدري إن كنت وطنيا. ما أعرفه، و أعرفه جيدا أنني جزائري، بل إنني أخاف أن أكون قد أصبحت شيئا آخر ... »⁽³⁾.

1- مالك حداد: الإنطباع الأخير، تر سعيد بوطاجين، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر 2008، ص 122

2- أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، ص 377، 388

3- مالك حداد: الإنطباع الأخير، ص 24

و في مقطع آخر يحيلنا الكاتب إلى جزائرية سعيد عن طريق الكتابة الجدارية التي عبر عنها بقوله: « شوارع بيت سعيد لها أرصفة صغيرة. شوارع بيت سعيد تكتب على الجدران: ((تحيا الجزائر حرة ...)) »⁽¹⁾ إن كتابة عبارة "الجزائر حرة" على جدران بيت سعيد لم تكن عبثية، و لا محض صدفة، إنما تدل على أصوله الحقيقية.

أما الطرق غير المباشرة فتتمثل في الإشارة إلى أصول الشخصية - سعيد - بشكل غير مباشر يتم عن طريق شخصيات أخرى، حيث نجد في صفحات الرواية جدة سعيد المدعوة " مّا مسعودة " التي كانت تكره كل ما له علاقة بالفرنسيين، ما يؤكد على أنها كانت مساندة لقضية وطنها، و يتجسد ذلك من خلال قولها لسعيد و هي على فراش الموت : « - يا بني لن تتزوج فرنسية أبدا ... أبدا ! و تهدت ... فرنسية أبدا . »⁽²⁾ و كذلك نجدها في حوار بينها و بين ابنها "إيدير" عم سعيد إذ تبين في هذا الحوار رفضها التام لزوجها من فرنسيه، و يتجلى ذلك حينما تسأله عنها فتقول: « و خنزرك أين هي ؟ »⁽³⁾ و في قولها أيضا: « الخنزة سرقت ابني، صرحت بوقار. و أكدت ملتقطة نحو سعيد: قتلت عمك. »⁽⁴⁾.

جدة سعيد في هذه المقاطع تشير إلى اختلاف أصولهم عن أصول الفرنسيين، و رفضها لزواج سعيد بأجنبية يبين لنا بشكل غير مباشر أصوله غير الفرنسية، و خوف العجوز على فقدان الهوية و الانتماء إلى فرنسا بحكم علاقة الزواج مع الفرنسيات .

و ليست شخصية سعيد هي التي تمثل فيها الصراع بين الإنتمائين الجزائري و الفرنسي، بل ركز الكاتب على شخصية " شريف " صهر سعيد الذي كان يحلم بالإنماج في المجتمع الفرنسي و التتصل لأصوله « ... شريف البربري الصغير الذي ركض تحت شجرة الزيتون

1- مالك حداد، الانطباع الأخير. ص 39

2- المصدر نفسه، ص 27

3- المصدر نفسه، ص 27

4- المصدر نفسه، ص 28

و التين القبائلي، أصبح شريف فرنسا متوسطا. لقد زعم أن القبائل لا يشبهون العرب. لقد زعم أن الحشيش سينبت في ساحة الحكومة بمجرد أن تتال الجزائر استقلالها. لقد قال مع كل الناس الطيبين الذي لم تَقهم قبعة الأب "بيجو" من لفحة الشمس الاستعمارية: ((ينقصنا تقنيون))⁽¹⁾، إن مشكلة شريف هي مشكلة وعي بانتمائه و عناصر أصوله، فقد كان يظن أنه أقرب للفرنسيين من الجزائريين، لذلك سيحدث الخلاف بينه و بين زوجته التي رفضت مرافقته إلى فرنسا.

و قد حاول مالك حداد إظهار حجم التفرقة التي تحدث بين الفرنسيين و الجزائريين الذين يدعون انتماءهم لفرنسا، حيث يبقى هؤلاء في الدرجة الأدنى في نظر الفرنسيين، إلا أن سعيد يقف موقفا مختلفا من موقف صهره شريف لأنه لم يتنصل لذاكرته و أصوله، و لم تنسه ثقافته الفرنسية أصوله الحقيقية « لن تنتهي هذه الفترة لأن سعيد له ذاكرة. »⁽²⁾

1-2 علاقاته:

- مع الفرنسيين:

لم يعرّف مالك حداد شخصية "سعيد" من خلال اظهار أصوله فقط، بل عرّفه أيضا من خلال طبيعة علاقاته مع بقية الشخصيات، و قد تجسدت تلك العلاقات من خلال (علاقته مع الفرنسيين، و علاقته مع الجزائريين)، كانت علاقة سعيد مع الفرنسيين علاقة طيبة، فهو يتعايش معهم بشكل طبيعي و لا يكن لهم أية كراهية، و هم بدورهم كانوا يحبونه و يحترمونه، و لم تكن علاقته بهم مرتبطة بشخص واحد فقط، إنما بعدة أشخاص أهمهم:

- لوسيا:

إن علاقة سعيد بلوسيا كانت علاقة قائمة على الحب و المودة، و كان قد تعرف عليها

1- مالك حداد، الانطباع الأخير، ص 57

2- المصدر نفسه، ص 61

في مكتبة، و من هناك تطورت علاقتهما و ترسخت أكثر، فكانت لوسيا تكرر زيارتها له، و تعتني به في حال مرضه، فهي تجلب له الأطباء، كما حدث و جلبت له الطبيب "روبير" « و بينما كانا يتجهان إلى مستودع السيارات خلف قصر العدالة اقترحت:

هيا نزوره، انه متعب، إن مقام طبيب يكون هناك عنده. كان الدكتور "لوجوندر" انسانا طيبا. كان يحب "لوسيا" كثيرا. لقد قِيل. التاسعة. قالت أجراس البلدية الجاثمة على أعمدتها الرخامية الطويلة الشبيهة بأرجل جراد خرافي.⁽¹⁾ و رغم الحب الذي كانت تكنه "لوسيا" لـ "سعيد" إلا أن حبها لوطنها كان أكبر، و لذلك تظهر علاقة الفتور بينهما من حين إلى آخر « لَمَّا علم بأن "لوسيا" ستغادر الجزائر بطلب منها لم يستطع "سعيد" بل لم يعرف كيف يعبر عما يحس به. أمام الفتور الواضح للرد. اختارت "لوسيا" نفسها. "سعيد" لا يكذب. "لوسيا" تحب سعيد و لكنها لا تحب بلد سعيد. سكت سعيد. لقد ابتدأت بعض الهواجس في الظهور على صدغيه. لقد ابتدأت نظرتة تتعقد. نظرة عميقة نظرة عميقة تذهب أبعد من الفكر. كانت هذه النظرة نظرة الذين رحّلهم التاريخ عن عاداتهم. «⁽²⁾ ، إن علاقته بالمعلمة الفرنسية "لوسيا" تظهر لنا الاختلاف القائم بين الأصل الفرنسي و الأصل الجزائري، حيث لم تستطع أن تحب الجزائر و تتخلى عن حب فرنسا، و كذا الأمر نفسه مع "سعيد" الذي لم يستطع أن ينسى وطنه و حبه له.

بعد أن قررت "لوسيا" العودة لوطنها الأصلي، و قبل لحظات من مغادرتها أصيبت برصاصة طائشة أودت بحياتها «قالت الجرائد: ...⁽³⁾ استطاع الإرهابيون الفرار مخلفين قتيلين على البلاط. من جانب قوات الأمن لا توجد أية ضجة. لسوء الحظ، و أثناء الإشتباك، أصابت رصاصة طائشة امرأة فتية نقلت إلى عيادة بالمدينة في حالة خطيرة، أين أجريت لها عملية جراحية سريعة. الضحية كانت بصدد الإستعداد للسفر غدا إلى البلد الأصلي ...⁽⁴⁾»

1- مالك حداد، الإنطباع الأخير، ص 21، 22

2- المصدر نفسه، 38

قالت الجرائد ... »⁽¹⁾ ، يدرك القارئ أن وجود شخصية لوسيا لم يكن لمجرد العلاقة الغرامية التي جمعتها بسعيد، يبدو أن ما أراده مالك حداد هو طرح أشكال الانتماء من جهة الطرف الآخر فلوسيا هي تمثيل للطرف الآخر، المستعمر الذي يحافظ على هويته و على انتماؤه و لهذا اختارت لوسيا الرجوع الى وطنها و لكن الحرب البشعة أودت بحياتها . قبل وفاتها كانت تطلب و بإصرار رؤية حبيبها سعيد « اطلبوا لي سعيد ... يجب أن تطلبوا لي سعيد ... لماذا لم تطلبوا لي سعيد؟ »⁽²⁾ هذه هي الكلمات الوحيدة التي نطقت بها قبل أن تُلَفَظ أنفاسها الأخيرة، فلبى لها الدكتور "روبير" طلبها هذا، فأتى إليها "سعيد" و بعد أن رأته فارقت الحياة « ماتت "لوسيا" هل تسمع يا سعيد، لقد ماتت لوسيا.

و لكن سعيد لا يسمع، و لكن سعيد لا يصغي.

ماتت لوسيا و يداها اللتان كانتا تمشطان شعرك. ماتت و يداها اللتان ترسمان النهار.»⁽³⁾ هذه المقاطع تدل على عمق العلاقة بين سعيد و لوسيا التي تجاوزت الانتماءات الثقافية و العرقية، و ركزت فقط على العلاقات الإنسانية، و لكن يبدو أن مالك حداد يريد أن يثير قضية أكبر و هي مدى تجاوز الخلافات الوطنية، و التي جسدها من خلال شخصيتي "سعيد" و "لوسيا" حيث أزهر أنه مهما كانت هناك علاقات تقارب بين الفرنسيين و الجزائريين فإنها لن تغطي حجم الاختلافات القائمة بينهم، و إن الانتصار الحقيقي لسعيد و لوسيا سيكون مرتبطا بالوطن، فلوسيا في النهاية قررت العودة لوطنها، و سعيد هو الآخر قرر في النهاية الدفاع عن وطنه.

- علاقته مع الجزائريين:

تختلف علاقة سعيد مع الجزائريين عن علاقته مع الفرنسيين، فهم يمثلون أصوله و انتماؤه، و قد ركز مالك حداد على إظهار علاقة سعيد بأفراد أسرته التي كانت قائمة على

1- مالك حداد، الانطباع الأخير، ص 69

2- المصدر نفسه، ص 71، 72

3- المصدر نفسه، ص 74، 75

المحبة و التقدير و مراعاة المشاعر » و إذا كان سعيد ذاهبا إلى بيته فقد كان ذاهبا إلى ذاته، اجتمعت عشرة أصابع في يديه، إصبع لكل نجمة و لكل جزائري. في الحقيقة يستلزم عدة ملايين إصبع لإنسان واحد. الجسر، هو حكاية حب كذلك . « (1) ، و تمثل علاقته بأخيه "بوزيد" من أهم الصور التي فصل فيها مالك حداد ليظهر للقارئ شخصية سعيد و هي تتفاعل مع شخصية "بوزيد"، فعندما علم سعيد باقتحام العساكر الفرنسية لمنزل أسرته و بحثهم عن أخيه بوزيد، لم يتأخر في الإلتحاق بأسرته للإطمئنان عن أخيه « حث سعيد خطاه. لم يكن يريد تقوية فرصة ملاقة أخيه الذي يمر (بالدار) مرورا عابرا، فعلا، مذ زواجه الري يرجع إلى خمسة أعوام خلت، كان بوزيد يأتي إلى بيت أمه - و أضحي ذلك طقسا - و يشرب قهوة و يتحدث إلى جارات قديمات. لم يكن بوزيد سعيدا إلا في مطبخ أمه» (2) و في مقطع آخر « تنفس سعيد. ثمة رابطة أكثر من الأخوة تجمعهم بأخيه: كان بوزيد الذي يكبره بست سنوات بمثابة وعيه. و الحال أنه سماه كذلك ... » (3) و من هنا نتبين لنا طبيعة العلاقة بين سعيد و أخيه القائمة على المحبة و الأخوة و الإحترام .

و يضيف الكاتب فيقول: « لم يكن بوزيد يحب الشر. جسر أخيه هو الذي خرب، أتى على تخريبه جسر أخيه، أخيه ... » (4) ففي هذا المقطع تتجلى لنا مدى ثقة سعيد بأخيه، فهو لم يكن يرى فيه صفة الأخ الشرير الذي أمر بتخريب جسر أخيه.

و علاقته بأخيه بوزيد لم تكن علاقة مؤقتة، بل استمرت حتى وفاة سعيد، حيث تكفل أخوه به « أزال بوزيد الوشاح الذي كان على عنقه، غطى بوزيد وجه أخيه، عقدة خيط في موضعها، عقدة خيط معكوسة ... » (5)

1- مالك حداد، الإنطباع الأخير، ص 121

2- المصدر نفسه، ص 48

3- المصدر نفسه، ص 50

4- المصدر نفسه، ص 125

5- المصدر نفسه، ص 151

كما تظهر علاقة البطل سعيد علاقة طيبة ببقية أفراد أسرته الذين يمثلون انتماءه الحقيقي، إذ كان له حضورا و تأثيرا واضحا داخل أسرته، في مثل ذلك الحدث الذي رفضت فيه جدته زواج ابنها إيدر بفرنسية، حين كانت الجدة تستند كثيرا على سعيد لكي يوصل أفكارها و مواقفها لزوجة ابنها، على الرغم من أنها تتقن الفرنسية إلا أنها أبت إلا أن تتكلم بالعربية و كلفت سعيد بالترجمة، ما يدل على حسن العلاقة بينه و بين جدته « مّا مسعودة تفهم الفرنسية جيدا و تتكلمها بالمقدار الكافي للإبانة عن مرادها. غير أنها، و بإصرار نافر قريب من الدلال أكثر منه إلى الرفض، أجابت بالعربية و من حظ "سيمون" أنها لم تفهم. و بالعربية أخبرها سعيد بأن "سيمون" تنتظر صبيا، حينها اضطربت العجوز قليلا ... كانت نظرة مّا مسعودة فوطبيعية و لكنها هادئة. »⁽¹⁾ ، و قد ركز السارد على انتظار الفرنسية لطفل يعني أن الإختلاط قد يحدث و ينشئ جيلا جديدا يجمع بين الهويتين .

و تظهر العلاقة الأكبر في هذا الجانب، أي علاقة "سعيد" بالجزائريين في شخصية "مليكّة" التي كانت خادمة عند أسرة سعيد و ابنة صديق والده، و التي أحبته و أقرت له بذلك، حيث تبرز لنا طبيعة علاقته بها و التي تمثل حبا من طرف واحد، إذ لم يبادلها سعيد المشاعر نفسها « أما مليكّة فقد قالت له ببساطة:

- و انت كيف حالك؟ قالت كذلك بكلمات تجعلنا نحس بأنها متعثرة، لم يتجرأ سعيد على النظر إلى وجهها، كان يتفادى النظر إليها قُبلا، حرجا، لأنها اعترفت له ذات يوم قائلة: أحبك مذ كنت صغيرة جدا »⁽²⁾ و على الرغم من عدم مبادلة سعيد الحب لمليكّة، إلا أنه بقي متفكرا لتلك الحادثة و مكررا لها و هو مايدل على عمق تأثيرها فيه.

لكن من أهم اللاقات التي قدمها مالك حداد بطريقة غير مباشرة، هي علاقة " سعيد" بالمجاهدين الجزائريين، و التي منحتة في نهاية الرواية الإستشهاد، حيث لا نتبين كيف إلتحق سعيد بالثورة و لا كيف تفاعل مع إخوانه المجاهدين، إلا بطريقة غير مباشرة، تبين

1- مالك حداد، الانطباع الأخير، ص 94

2- المصدر نفسه، ص 85، 86

لنا أن سعيد مال إلى الطرف الجزائري بدل الطرف الفرنسي « يجب قلب الصفحة. هل فكرتم في وزن الصفحة التي قلبها؟ نتصفح كتاب حياتنا، نكتب كلمة النهاية في حين أن كل شي يبتدئ ... الصفحات الغنية بالمستقبل الزاهر، يجب قلب الصفحة »⁽¹⁾ إن هذا المقطع يبين لنا المرحلة الجديدة التي سيدخلها سعيد فيحمل فيها الرشاش ليدافع عن الجزائر « تسلفت نملة رشاش سعيد. عن أي شيء تبحثين أيتها النملة الصغيرة؟ لا وجود للقمح هنا. لا شيء ينبت على رشاش »⁽²⁾ و يضيف الكاتب في مقطع آخر « لم يعد سعيد يعرف نفسه، كانت فوهة الرشاش لاهية، عيناه لا تتحركان، لمن الدور؟ بوزيد يعطي أوامره. يجب اقتصاد الذخيرة. يجب ربح الوقت. يجب بلوغ الليل. لو أن الليل رغب في ذلك ! ربح الوقت. تحرّك مصادف وضع سعيد قرب أخيه. الرجلان ينظران الى بعضهما و لا يتكلمان. ليس لهما متسع من الوقت للكلام لم يعودا أخوين إنهما رجلان، جنديان، جزائريان يقتصدان الذخيرة و ينتظران الليل. »⁽³⁾ ، يشارك البطل في الثورة المسلحة، و في هذا المستوى يتجلى بشكل واضح تمثيل الكاتب للثورة التحريرية التي شارك فيها كل جزائري سواء المتعلم المثقف، أم الأمي الذي حرّمته فرنسا من حقه في التعليم، و بيّن من خلال هذا الصراع الذي عاشه البطل بأن لحظة الاختيار تكون حاسمة و تكون في النهاية لصالح الثورة و رفض الإستعمار .

إن علاقة الإنسان بالمكان هي أيضا علاقة وطيدة، يكون لها تأثيرها على الشخصية في تفكيرها و سلوكها، و لم تكن عناية مالك حداد بالمكان عناية عميقة سوى ما ارتبط بإظهار فضاءات الأحداث أو انفعالات و مشاعر البطل سعيد، الذي تتغير مشاعره تبعا للأحداث و الذكريات التي ترتبط بالمكان الواحد، فنجد أن جبل الوحش كمكان يصبح رمزا للألم و المعاناة لأنه يحوي ضريح لوسيا، يقول ذلك و هو مسافر إلى الجزائر « عندما

1- مالك حداد، الانطباع الأخير، ص 121

2- المصدر نفسه، ص 136

3- المصدر نفسه، ص 144

اندفعت السفينة، عندما أصبح الوريد باخرة، لما غدا ((جبل الوحش)) بعيدا جدا عن الأرض الفرنسية، و أدرك سعيد بأنه اختار الرسو في ضفة أخرى، عندما غدت السفينة باخرة، عرف سعيد بغموض و كطفل صغير طيب جدا، طفل تعيش جدا، عرف سعيد لماذا لم تكن عيناه جافتين تماما»⁽¹⁾ و في قوله أيضا: « إنه بعيد الآن بعيد جدا ضريح لوسيا »⁽²⁾ و تظهر لنا علاقة سعيد بالمكان علاقة تستند إلى الوسيط الإنساني، فلولا وجود ضريح لوسيا في ((جبل الوحش)) ما كان لهذا المكان أهمية لدى سعيد.

و الأمر ذاته مع الجسر، حيث كان هذا الإنجاز الذي أسهم في تصميمه سعيد له مكانة خاصة عنده، و لهذا نجد الكاتب يقول عنه: « ... هذا الجسر الذي كان السعادة الحقيقية الأولى لسعيد »⁽³⁾ فهو قد كان « بالنسبة إليه بمثابة مولوده البكر، بل كان أكثر من ذلك. »⁽⁴⁾ ، إذ نجد سعيد في كثير من المرات يفكر بأنه يجب تخريبه ليؤكد بذلك مدى حبه و تمسكه بوطنه، و عن انتمائه إلى الجزائر و ليس فرنسا، و مساندته لقضية وطنه « بيد أنه يجب تخريب الجسر، يجب، يجب ... »⁽⁵⁾ فمن خلال هذا المقطع يتبين لنا أن البطل سعيد كان مستعدا للتضحية بالغالي و النفيس من أجل وطنه، و لكنه بعد أن دخل في ميدان الدفاع عن الوطن لم تعد له أهمية، فكان تخريبه نهايته الحتمية كمكان يرمز إلى أبعاد تاريخية و وطنية و حضارية ساهم فيها « تشتت بقايا الأغاني بأنقاض الجسر. تمزق فستان التوريد الكبير حزنا، توفي الجسر كما توفيت لوسيا، تعددت الأسباب و المنطق واحد، ستنموا الفواكه من جديد، ستغني الورود من جديد لكن حبات اليوسفي لن تكون له نفس الخدود الوردية لحب يكلمك و يعرف كيف يغني »⁽⁶⁾.

1- مالك حداد، الانطباع الأخير، ص 110

2- المصدر نفسه، ص 110

3- المصدر نفسه، ص 15

4- أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، مرجع سابق، ص 378

5- مالك حداد: الإنطباع الأخير، ص 25

6- المصدر نفسه، ص 126، 127

لم ينزعج سعيد من تخريب الجسر لأنه كان مدركا لضرورة تخريبه و بدء حياة جديدة « عرف سعيد عن طريق الصحف بأن جسره خُرب. أیه فكرة هاته التي تجعلك تبحث في ركن الوفيات عن الإعلان عن موتك » (1) .

و في الأخير نخلص إلى أن موت لوسيا و تخريب الجسر قد دفع سعيد إلى معرفة ذاته معرفة جديدة، أصبح من خلالها يميز جزائريته الحقّة، فسعيد الذي كان قلقا متألما على الأوضاع المزرية التي آل إليه وطنه بسبب الإستعمار الفرنسي، قد دفعته أصوله في النهاية إلى الإلتحاق بالثورة المسلحة بعدما أدرك أهمية أصوله رغم علاقاته الطيبة مع بعض الفرنسيين « لن يدخل إلى الجزائر لركوب قطار كهربائي، لشراء جريدة، لاختضان والدته، يدخل إلى الجزائر ليفعل شيئا، من سحر اللغة الفرنسية أنها جعلت الفعل بحاجة إلى مفعول، كما هو الحال في أي مكان آخر، إن الجزائري له دوما شيء يفعله، لم يعد سعيد يتنفس لا البحر ولا المحيطات لأن البحر و المحيطات كانت بداخله. لأن العاصفة كانت بداخله. لأن الصحو كان بداخله، لقد اختفى سعيد عن الأنظار منذ سنين، و أخيرا عثر على نفسه.» (2) و لقد كان يوم أول نوفمبر 1954م هو الفاصل بين حياة سعيد الماضية و حياته الحاضرة « الساعة التي نعيدها إلى أول يوم من نوفمبر، هذا الشهر الذي غير توقيت فصول الشتاء إلى الأبد. الساعة التي تحدد الوقت في عرس الموتى، في ولادة الحقائق، الساعة التي كانت تعرف في أي ساعة قتل هذا الجزائري أو ذاك، في أي ساعة مات هذا المجند أو ذاك، و الآن و قد تعبت من الوقت، فإنها ذهبت لتستريح في عمق الوقت و البحر، لقد دقت الساعة.» (3) .

إن رسم شخصية سعيد من خلال إظهار أصوله و طبيعة علاقاته، مكن الكاتب في النهاية من جعله ينتصر لأصله الجزائري بعد أحداث كثيرة مر بها منها : موت حبيبته لوسيا

1- مالك حداد، الانطباع الأخير، ص127، 128

2- المصدر نفسه، ص 113

3- المصدر نفسه ، ص 115، 116

و تفجير الجسر و اندلاع الثورة الجزائرية، و كل هذه الأسباب دفعتة للتسائل عن أهمية وجوده و اختبار مستوى حبه لوطنه باعتباره ينتمي إلى جيل عُمد في النحيب و الدم، و دفع ما هو غال و ثمين من أجل الحفاظ على أصوله « و مع ذلك فإنه آخر جسر. كان هذا الجيل الإنطباع الأخير لخرافة القرون. عُمد في النحيب و الدم. و رغم هذا كان يعرف جيدا أن الحلم كلمة سرّ صحيحة. يجب أن يموت أناس. يجب أن يزول جيل. هكذا يصبح الموت طريقة لقلب الصفحة، طريقة لكتابة انطباعك الأخير.»⁽¹⁾

2- سعيد و الانتماء الثقافي:

عكف مالك حداد على رسم تفاصيل شخصية سعيد بعمق إذ حاول من خلال روايته " الإنطباع الأخير" إظهار مستواه التعليمي و انتمائه الثقافي، حتى يشكل لنا صورة متكاملة عن هذه الشخصية التي ستتغير مع توالي الأحداث، و تنتصر للبعد الجزائري، رغم اختلاف الانتماء الثقافي الفرنسي الذي على ما يبدو لم يؤثر في شخصية سعيد، و لم ينسهِ انتماءه الجزائري، فمن ناحية المستوى التعليمي كان سعيد يمتلك شهادة مهندس، و هو ما يدل على مستواه العلمي « و عندما كان يعبر سقيفة البناية حياه شرطي عربي، إنه يعرف المهندس جيدا

- كيف حالك ؟ سأله هذا الأخير

- كما ترى. «⁽²⁾

إن هذا المستوى الذي يتميز به سعيد لابد أنه كان بفضل دراسته في الجامعة، و إذا ربطنا ذلك بالفترة الزمنية و هي فترة الإستعمار فإن دراسته كانت في المدارس و الجامعات التابعة لفرنسا، لأنه لم يكن هناك مدارس جزائرية عربية يمكن أن يحصل من خلالها الجزائري على شهادة في الهندسة .

1- مالك حداد، الانطباع الأخير، ص 122

2- المصدر نفسه ، ص 9

و تتجلى ثقافة سعيد الفرنسية كنتاج لتعلمه في المدارس الفرنسية، و يظهر إتقانه للغة الفرنسية من خلال ترجمته للجدّة " مّا مسعودة" ذلك الحوار القائم بينها و بين زوجة ابنها "سيمون" « قل لها أن تجلس على السرير، طلبت منه.

- كان سعيد يترجم، و كانت سيمون شعرة في الحساء حقا.»⁽¹⁾ .

كما أن قراءات سعيد للجرائد الفرنسية التي كانت تجلبها لوسيا إلى مكتبه يدلنا على طبيعة اللغة التي يقرأ بها «ذهب سعيد إلى مكتبه وأخذ جريدة، لم يقرأ إلا عناوينها، مسألة أخذ فكرة»⁽²⁾

كما نلمح أثر الثقافة الفرنسية في بعض الأقوال التي يستعملها البطل سعيد و هي نتاج قراءاته للمؤلفات الفرنسية، في مثل قوله: « فكر سعيد برهة في أحد مقالات " كامو" التي قرأها حديثا : ((أن الألوان ليلتحق كل واحد بطائفته)) »⁽³⁾ إن هذه المقولة هي لـ " ألبير كامو" و هو كاتب فرنسي، ما يبين لنا المرجعية الثقافية التي تمثل جوهر قراءات شخصية سعيد.

و لم يقتصر تأثير الثقافة الفرنسية على لغة سعيد فقط، بل تجاوز التأثير إلى بعض السلوكات مثل ارتياده للحانات من أجل شرب الخمر « دخل سعيد غلى حانة صغيرة كتب عليها ((عند جانيت)) »⁽⁴⁾ إذ أن شرب الخمر لا علاقة له بالثقافة الإسلامية التي ينتمي إليها سعيد في الأصل، إلا أن تأثير الثقافة الفرنسية كان واضحا عليه من هذه الناحية، كما يظهر الأثر أيضا في طبيعة علاقته بلوسيا التي كانت تزوره في غرفته متى شاءت و لم تكن هناك حواجز أو حدود نتبين من خلالها تأثير الثقافة الإسلامية عليه، و هو ما يظهر تأثر الرجل الجزائري بالمرأة الغربية، و الذي عبر عنه " عبد المجيد حنون " بقوله « أعجب

1- مالك حداد، الإنطباع الأخير، ص 29

2- المصدر نفسه، ص 16

3- المصدر نفسه، ص 49

4- المصدر نفسه، ص 102

المغاربة بجمال الفرنسية و رشاقتها و حريتها و قوة شخصيتها، ثم تطور ذلك الإعجاب إلى علاقة حب.⁽¹⁾

إن علاقة سعيد بلوسيا ليست مجرد علاقة حب، بل تحيلنا إلى مستواه الثقافي الذي مكنه من الإرتقاء الى مستوى هذه العلاقة التي أعطته بطاقة دلالية تجعله يشترك مع الفرنسيين في سلوكهم حيث كان يلتقيها متى شاء و أينما شاء و يتقاسم معها شرب الخمر، « كانت جالسة على أرض الغرفة رأساً، قريباً من الموقد. تمدد سعيد بكل قامته و رأسه مستداً على رجلي لوسيا، لم يكن يبصر إلا أسفل المعطف، جرف صغير مثلث ترقص عليه ظلال الألقو الهوام »⁽²⁾ و في قول الكاتب أيضاً: « كان صدر لوسيا الصغير يدق ببطء، و النار تصنه أبياتاً، نبض سعيد يعدها. سبيخة ثلج. سبيختان من الثلج و ملايير الغراميات »⁽³⁾.

و لكن على الرغم من كل التأثيرات الناتجة عن الثقافة الفرنسية و التي بدت في لغة سعيد و في علاقاته الطيبة مع الفرنسيين، و انصافه بسلوكات هي أقرب إلى الفرنسيين من الجزائريين، إلا أن تأثير الثقافة الجزائرية ببعدها الوطني ستكون لها الغلبة لأن هاجس الوطن و الدفاع عنه كان هو الأكبر، لذلك نجد أن مالك حداد يركز على نقاط الصراع التي بدأت تتشكل في شخصية سعيد الذي كان في مرحلة معينة غير قادر على فهم هويته و انتمائه الحقيقي، أهو فرنسي أم جزائري؟ و عاش صراعاً مريراً في داخله بسبب تداخل الثقافة الفرنسية مع عناصر أصوله و انتمائه « خطأ ! إني كالآخرين و زوارقي الصغيرة لا تضيف شيئاً و لا تنقص شيئاً ... إني كالآخرين، إني مع الآخرين، أفهم خبزهم و بندقيتهم، أتحدث عن أمي كما يتحدثون عن أمهم، أقبل أبنائي كما يقبلون أبنائهم. أخاف السلب كما يخافونه، إني كالآخرين، كل شيء يربطني بهم، كل شيء يجعلني مماثلاً لهم، أنا لست

1- عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ص 194

2- مالك حداد: الإنطباع الأخير، ص 65

3- المصدر نفسه، ص 65

سوى معهم، اختارت الشجرة غابتها، العلامة الموسيقية سمفونيتها، الوحيدون الذين أستطيع أن أفهمهم فعلا، هم أهلي.»⁽¹⁾ فبالرغم من مستواه التعليمي و ثقافته الفرنسية إلا أنه انحاز لقضية وطنه.

يبدأ الانتصار الحقيقي للثقافة الجزائرية للتشكل داخل سعيد بعد ذلك الحوار الذي أجراه مع صهره "شريف" الذي أخبره أن أخته ترفض الذهاب معه إلى فرنسا، فعبر سعيد عن اعتزازه بأخته قائلاً : « و لكن زوجتك على حق ... إنه لمن الغباء أن نموت بعيدين عن قبرنا »⁽²⁾ يحيل المقطع الى ضرورة التمسك بالذاكرة و التاريخ و الإلتواء فيقول عن أخته التي تمثل نموذجاً جزائرياً متمسكاً بأصوله و انتماؤه: « بقيت وفيت للساعات المضئية المزروعة بالضحك و النحل، بقيت وفية لهذا اليوم الخجول من نوفمبر الذي طلع ذات صباح على البلاد الجزائرية ... »⁽³⁾.

و تظهر أشكال الصراع في شخصية البطل سعيد من خلال مشاهدته و هو في مدينة إيكس أون بروفانس حيث ولدت محبوبته لوسيا، هناك كان سعيد يلتقي بكثير من الجزائريين و الأفارقة الشماليين، كانت تزعجه مناظرهم و يشعر بنوع من الصراع في داخله و هو غير قادر على فهم ذاته أهى فرنسية أم جزائرية؟ « حتى و لو اختلت لهجة بروفانسية بكلماتهم، فإنهم يتحدثون بالعربية. في إيكس أون بروفانس، و في جهة أخرى هناك اللازمة نفسها، الكلام المكرر نفسه. قمر فاتر أو شمس، الجزائريون مشاكل.»⁽⁴⁾ و في المقابل كان يشعر سعيد ببعض التعاطف مع أهل لوسيا، مع أن الضحية الأكبر هو الشعب الجزائري، إلا أن سعيد نجده يميل إلى الطرف الفرنسي و يشكل انطباعاتاً جميلةاً عنه « ذلك هو الانطباع الفوري لسعيد. كان عليه أن يواجه ناساً طبيين. ناساً نظيفين جداً و يذهبون إلى خيمهم

1- مالك حداد، الانطباع الأخير، ص 97

2- المصدر نفسه، ص 89، 90

3- المصدر نفسه، ص 89

4- المصدر نفسه، ص 96

البحرية يوم الأحد (...) هؤلاء الناس طيبون كما ينبغي، نظيفون، مجمدون كما ينبغي في أخلاقهم و نواميسهم، هؤلاء الناس الذين تعني لهم كمية غبار صغيرة أن السيارة تسير بسرعة.⁽¹⁾

إن الإنطباع الجميل الذي يحمله سعيد تجاه الفرنسيين يجعله غير قادر على مواجهتهم أو مناقضتهم، و يصبح اعترافه بجزائريته فيه نوع من الحرج « لم يتجرأ على الإقرار لأن لوسيا كانت تمرر يدها على شعره، يدها نورس على موجة غاضبة، لأن روبر لم يكن سوى انسان طيب، لم يتجرأ سعيد على البوح بأنه يخشى أن يكون قد أصبح مضادا للفرنسيين.⁽²⁾ لكن هذا الخوف هذا الشعور بالحرج زال تأثيره في النهاية عندما عاد سعيد إلى انتمائه الحقيقي ببعده الوطني، فبعد عودته من فرنسا و اندلاع الثورة المسلحة التي شكلت نقطة تحول في حياته و في قضية هويته، أدرك سعيد بأنه آن الأوان ليلتحق كل واحد بطائفته، و أنه آن الأوان لتخريب الجسر الي كان حاجزا بينه و بين إخوانه المجاهدين، و الإلتحاق بأخيه "بوزيد" في الجبل الذي كان آخر محطة في حياته، و نال الشهادة « ناقص الجزائري النكرة. ناقص سعيد ⁽³⁾ » .

و في الأخير يمكن القول إن في « استشهاد اتصال أبدي بالهوية الجزائرية، سعيد جزائري حر تائر، شهيد الوطن.⁽⁴⁾ » ، فسعيد استشهد بين أحضان وطنه معتزا و مفتخرا بهويته الجزائرية و بانتمائه القومي.

1- مالك حداد، الانطباع الأخير، ص 99

2- المصدر نفسه، ص 24

3- المصدر نفسه ، ص 151

4- نبيلة زويش: إشكالية الهوية في رواية الإنطباع الأخير لمالك حداد، ص30

الخاتمة

إن البحث عن تمثيلات الثورة الجزائرية في رواية " الانطباع الأخير " قد ارتبط بالبحث عن الهوية الوطنية، و على هذا الأساس كان طرح الكاتب لإشكالية الهوية طريقة للكتابة عن الثورة بلغة المستعمر للتعبير عن معاناة الشعب الجزائري، و عليه يمكن أن نُجمل أهم النتائج التي توصلنا إليها في النقاط الآتية:

- تعد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية من أهم المحاور التي عرفها الأدب الجزائري الحديث و المعاصر، و الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية هو أدب جزائري محض، كتب باللغة الفرنسية من طرف كتاب جزائريين لأنه خلق من رحم الوطن و اللغة الفرنسية هي مجرد وعاء يحمل أفكار الجزائري أجبرته الظروف على التعلم بلغة الآخر .

- كما منحت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية بعدا إنسانيا و أولوية للقضية الوطنية و للهوية الجزائرية، حيث اعتبرتها جزء لا يتجزأ من كيانها، مما يدل على أن الرواية الجزائرية ولدت حاملة لبذور الثورة المسلحة و مدافعة عن القيم الإنسانية، بالإضافة إلى أنها رسالة من الشعب الجزائري على الرغم من الرفض الذي تلقته من قبل بعض النقاد و الدارسين.

- كانت الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية المتنفس الوحيد للكتاب الجزائريين الذين كتبوا بغير لغتهم الأم للتعبير عن القضايا السياسية و الاجتماعية و الثقافية التي مر بها المجتمع الجزائري إبان فترة الاستعمار الفرنسي، فجعلوا من الرواية مرآة عاكسة لهذه الأوضاع المزرية التي عاشتها الجزائر آنذاك.

- يعتبر مالك حداد من أبرز الكتاب الذين امتازت أعمالهم الأدبية بالانحياز إلى الثورة التحريرية، و قضية الانتماء و مسألة الهوية الوطنية.

- استعمل مالك حداد اللغة الفرنسية للدفاع عن هويته و انتماء الجزائريين و إعادة الاعتبار لهم من خلال الوقوف في وجه المستعمر، لذلك فقد كانت رواية الانطباع الأخير من بين النماذج التي حملت في طياتها قضايا تتبع من رحم الواقع و صوت الأديب و معاناة الشعب الجزائري بسبب الاستعمار الفرنسي الذي دائما ما عمل على طمس الهوية الوطنية.

-كان مالك حداد مرتبطا بالواقع الجزائري و عايش تحولاته، و تعد نصوصه الأدبية مظهرا من مظاهر معاناته الثقافية جراء ثقافته الفرنسية و احتكاكه بالمجتمع الفرنسي دون أن ينتمي إليه، مما عمق الصراع مع ذاته و عاش محنة مزدوجة.

- لقد اتسمت لغة مالك حداد في روايته الانطباع الأخير بالعاطفية نظرا لحساسية الموضوع الذي يعالجه و تعلقه بالهوية الوطنية التي أنجبت من أدبيا متمكنا و جعلت من رواياته صوتا صادحا في وجه المستعمر الفرنسي، تبين لنا أن تمثيل الثورة الجزائرية في رواية " الانطباع الأخير " كان من خلال طرح أزمة هوية الجزائري الذي عاش في المدينة مع المعمّرين، و كانت نتيجة الاحتكاك بهم و التعلم بلغتهم السبب الرئيسي في خلق مشكلة الهوية. و كل مستعمر يسعى للقضاء على هوية المستعمر و هو الأمر الذي لم تتجح فيه فرنسا و صارت لغتها سلاحا في يد أبناء الجزائر.

لقد حاولنا في ثنايا هذا البحث و على امتداد فصليه أن أجمع المادة من مناهل متعددة و موارد متنوعة و لا أدعي في هذا البحث أنني قد أوفيته حقه من الدراسة.

قائمة المصادر و المراجع:

(1) المصادر:

- مالك حداد: الانطباع الأخير، تر سعيد بوطاجين، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2008،

(2) المعاجم:

- إبراهيم أنيس وآخرون: معجم الوسيط، ط4، مجمع اللغة العربية مكتبة الشروق الدولية، 2004
- جميل صليبيبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية و الإنجليزية و اللاتينية، ج2، من (ط إلى ي) دار الكتاب اللبناني بيروت - لبنان - 1982

(3) المراجع بالعربية:

- أبو القاسم سعد الله: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، ط5، الجزائر، 2007
- أحمد دوغان: في الأدب الجزائري الحديث، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق - سوريا - 1996
- أحمد منور: أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، دراسة أدبية، دار الساحل للكتاب الجزائري 2001
- أحمد منور: الأدب الجزائري باللسان الفرنسي نشأته و تطوره و قضاياها، ديوان المطبوعات الجزائرية، 2007
- الطيب ولد لعروسي: أعلام الأدب الجزائري الحديث، دار الحكمة للنشر، 2009،
- باديس فوعالي: التجربة القصصية النسائية في الجزائر، دار هومة للنشر، الجزائر ط1، 2002
- جبور أم الخير: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، دراسة سوسيو نقدية، ط1، دار ميم للنشر، الجزائر 2013
- حفناوي بعلي: أثر الأدب الأمريكي في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، دار الغرب للنشر و التوزيع
- حفناوي بعلي: مقارنة في خصوصية الأدب الجزائري الحديث، جامعة عنابة الجزائر
- زهرة ديك: من روائع الأدب الجزائري، دار الهدى لجزائر، ج1
- سامية إدريس: الرواية الجزائرية الحديثة بين الهوية الثقافية و الهوية السردية، المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال اليوم الدراسي الرواية بين صفتي المؤنث، الجزائر، 2001

- شايف عكاشة: مدخل إلى اعلم الرواية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990،
- عبد الله ركيبي، حوارات صريحة، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2000
- عبد المجيد حنون: صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر
- عمر بن قينة: أعلام و أعمال في الفكر و الثقافة و الأدب، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق - سوريا- 2000
- عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان (الإنثربولوجيا) منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق- سوريا- 2003
- محمد برادة: فضاءات روائية، وزارة الثقافة، ط1، الرباط -المغرب- 2003
- محمد طمار: تاريخ الأدب الجزائري، الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، دط، 2007
- محمد مسلم: الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا، وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2009
- مخلوف عامر، مظاهر التجديد في القصة القصيرة بالجزائر، دراسة ط2، دار الأمل تيزي وزو - الجزائر - 2008
- وانيسي الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986،

(4) المراجع المترجمة:

- عائدة أديب بامية، تطور الأدب القصصي الجزائري، 1925-1967، تر: محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982
- عبد القادر جغلول: الاستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائر، تر سليم قسطون، دار الحداثة للطباعة للنشر و التوزيع، بيروت -لبنان- 1984
- مالك حداد: التلميذ و الدرس، تر: سامي الجندي، منشورات وزارة الثقافة مكتبة الأسرة الأردنية، 2008

(5) الرسائل الجامعية و المذكرات:

- أمين زاوي: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، بحث تصور علاقات الإنتاج الروائي الإيديولوجي من 1930 إلى 1982، مخطوط ماجستير، دمشق سوريا، 1983

(6) المجلات:

- خليل نوري، سهير العاني: الهوية الإسلامية في زمن العولمة و الثقافة، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، ط1، عدد 214، بغداد-العراق-، 2009
- عبد الباسط هويدي: المنظومة التربوية و فكرة الانتماء الاجتماعي، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، ع26، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي-الجزائر - 2016
- سامية داودي: جميلة دباش و قضية تعليم المرأة، مجلة مخبر تحليل الخطاب أعمال الملتقى الوطني PNR، الرواية النسائية في الجزائر - النشأة و أسئلة الكتابة - جامعة مولود معمري تيزي وزو 2013
- سامية داودي: سؤال الهوية في روايات طاوس عمروش مجلة مخبر تحليل الخطاب، العدد الخاص بأعمال اليوم الدراسي PNR ، من السيرة الذاتية إلى الرواية السير - ذاتية، كتابات آل عمروش أنموذجا، جامعة مولود معمري تيزي وزو، 2012
- نبيلة زويش: إشكالية الهوية في رواية الانطباع الأخير لمالك حداد، مجلة معارف، ع 11، قسم 2: الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية
- نوال بن صالح: الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية و ثورة التحرير، صراع اللغة و الهوية، مجلة المخبر، ع7، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2011

ملحق:

تعتبر رواية "الانطباع الأخير" لـ "مالك حداد" و التي صدرت عام 1958م، من بين الأعمال الروائية الأولى التي تناولت أحداث الثورة التحريرية الجزائرية.

تدور أحداث الرواية حول مسار شاب جزائري اسمه "سعيد" يعيش في فرنسا كمواطن فرنسي و لكن من أصل جزائري، تقبله بعض الفرنسيون لأنه كان مثقفا و مهندسا معماريا ناجحا، حيث أحب الجسر الذي شيده في مدينة "قسنطينة" و الذي كان بمثابة مولوده الأول و مكن فخره و اعتزازه، أحبته فتاة فرنسية اسمها "لوسيا" و فضلته عن الفرنسيين رغم أنها كانت تكره بلده الجزائر، و هو أيضا أحبها بدوره.

وقع "سعيد" في حيرة من أمره حين جاءه خبر من قيادة الثوار الجزائريين الذين يطلبون منه تقديم المعلومات الهندسية التي تمكنهم من تفجير جسره، وأن يرشدهم إلى نقاط الضعف فيه لأنه كان نقطة عبور لعساكر العدو الفرنسي ليزرعوا الموت و الخراب في أرجاء الجزائر.

ذلك ما دفع "سعيد" لكره الحرب، واشتد كرهه لها بعد موت محبوبته "لوسيا" برصاصة طائشة، و هذا ما دفعه لحسم أمره و الالتحاق بأخيه "بوزيد" في الجبل، لينتصر لقضية وطنه، و ليستشهد في الأخير بجانب أخيه في سبيل وطنه مع أبناء وطنه.

شكر و عرفان

الإهداء

01

مقدمة

الفصل الأول: الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

05

1 - نبذة تاريخية عن الرواية الجزائرية المكتوبة
باللغة الفرنسية

20

2- رواد الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

24

3- موقف مالك حداد من الكتابة باللغة الفرنسية

الفصل الثاني: تجليات الهوية في رواية الانطباع الأخير
لمالك حداد

28

مدخل

33

1- سعيد و الانتماء الجزائري (بطاقة دلالية)

34

1-1 البطاقة الدلالية لشخصية سعيد

36

2-1 علاقاته

44	2- سعيد و الانتماء الثقافي
50	خاتمة
53	قائمة المصادر و المراجع
57	الملاحق
58	فهرس الموضوعات

ملخص:

تناولت في مذكرتي إشكالية تمثلات الثورة الجزائرية في " رواية الانطباع الأخير " قسمت الدراسة إلى فصلين جعلت الفصل الأول للحديث عن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، بينما خصصت الفصل الثاني للتحليل و عنوانته بـ " تجليات الهوية في رواية الانطباع الأخير لمالك حداد "، و قد ركزت على إشكالية الهوية لأنها كانت الوسيلة التي حاول مالك حداد أن يمثل الثورة من خلالها، ففرنسا كانت تسعى جاهدة للقضاء على هوية الجزائريين الأمر الذي فشلت فيه لأن " سعيد " البطل اختار في النهاية اللحاق بالثورة الجزائرية ضد فرنسا.

مقدمة

الفصل الأول

الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

الختامة

الفصل الثاني

تجليات الهوية في رواية الانطباع الأخير
لمالك حداد

قائمة المصادر و المراجع

الملاحق